جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم الشريعة

نهاية فرعون بين التوراة والقرآن الكريم

(دراسة مقارنة)

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس
في العلوم الإسلامية – تخصص: مقارنة الأديان

الطلبة:
- أمال حدد
- إيمان ضيف الله
- فاطمة الزهراء موساوي

المشرف:
إسماعيل عريف

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه, والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فيا رب لك الشكر والحمد على أن وفقتنا لإتمام إنجاز هذا العمل المتواضع فاللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم, قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٧.

وعليه فإننا نتقدم بالشكر الجزيل وخالص التقدير لأستاذنا الفاضل " إسماعيل عريف " لقبوله الإشراف على هذه المذكرة والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته العلمية ونصائحه القيمة ومساعدته الكبيرة لنا. فنسأل الله له العفو والعافية في الأولى والآخرة, وجعله الله منارة تنير دروب البحث والباحثين.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر الجزيل لكل من مدّ لنا يد العون في إنجاز هذا البحث.

بارك الله لهم وجعلها في ميزان حسناتهم وجعل الجنة مثوى لهم. "آمين" .

أمال ... إيمان ... فاطمة الزهراء

ملخص البحث:

بينا في هذه الدراسة "نهاية فرعون بين التوراة والقرآن الكريم", بادئين العمل بفصل تمهيدي, ضبطنا فيه مصطلحات ومفاهيم العنوان, وقمنا أيضاً بعرض كل من الأسباب والأحداث الممهدة لهذه النهاية, وكذا الأثر الذي خلفته هذه النهاية, عاقدين في كل فصل مقارنة القصة في الكتابين المقدسين مبرزين أهم مواطن الاتفاق والاختلاف فيه.

RESEARCH SUMMARY:

Our midst in this study, the end of the bharaoh between the torah and the Koran ba dian work introductory chapter that regulate on the term and concepts of the title, and also we offer to all of the causes and events leading up to this end as well as the impact that this end akadin in each quarter compared to the story in two books holy.

المقدمة:

الحمد لله العفو الأكرم "الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم"، سبحانه شديد العقاب على الجاحدين العاصين ذي الطول لاإله إلا هو إليه المصير ثم الصلاة والسلام على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد شهدت البشرية منذ حقبات غابرة من الزمن تغيرات عدة، وذالك بزوال حضارات وظهور أخرى وهلاك أقوام ونشوء آخرين، وقد يكون هذا الأخير ناجم عن مدى الدمار والعقوبات التي سلطت على هذه الأقوام من طرف رب العالمين.

و المستقرئ لتاريخ المصريين في الفترة المتزامنة مع الدعوة الموسوية يجد بأنهم من أكثر الشعوب غيا, فمن أجل هذا سلطت عليهم عقوبات عدة ولعل أن هذه العقوبات هي التي دفعت بهم إلى هذه النهاية الأليمة, فهم في كل مرة يعدون موسى عليه السلام بالتوبة ولكنهم عند رفع البلاء عنهم يعودون على ما كانوا عليه, فالله سبحانه وتعالى أمهلهم مرات عدة إلا أنهم لم يهتدوا فقد كان هذا من أبرز الأسباب التي أدت بفرعون الطاغية وجنده إلى هذه النهاية

وهذا ما سنحاول طرحه في هذا البحث بشيء من العمق والتفصيل وموضوع بحثنا هذا_المعنون_"نهاية فرعون"، _دراسة مقارنة_بين التوراة والقرءان الكريم، ويعد هذا الموضوع ذو أهمية كبيرة بحيث أنه يزامن فترة زمنية هامة في حياة الفراعنة، كما أنه يكتسي أهمية أكبر من الأول في كون جزئياته مبثوثة في أهم مصدرين مقدسين، مما يجعله يحتل مكانة مرموقة في مجال الدراسات المقارنة

ومحور هذه الدراسة يكمن في كيفية الطرح لهذا الموضوع بين التوراة نحيطه بسياج من النظر لكل جوانبه، فتولدت لدينا من خلال ذالك إشكاليه مفادها التساؤل التالي:

"كيف كانت نهاية فرعون بين التوراة والقرءان الكريم"؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية مفادها.

ماهي أهم الأسباب التي دعت لحدوث هذه النهاية؟ وفيما تمثلت هذه النهاية؟ وما أثر هذه النهاية في كلا المصدرين؟

وقد دفعنا للبحث في هذا الموضوع والتعرض إليه بالدراسة أسباب تمازجت بين ذاتية وأخرى موضوعية:

الأسباب الذاتية:

- رغبتنا الشديدة في معرفة هذه النهاية من حيث أسبابها وأحداثها.

- التشوق والرغبة في طرق هكذا مواضيع تكون مشتركة بين التوراة والقرآن الكريم، لمعرفة كيفية معالجة كل موضوع واحد.

- المساهمة في إثراء المكتبة بالدراسات المقارنة وذلك لافتقارها لهكذا مواضيع وخاصة في مجال "مقارنة الأديان".

الأسباب الموضوعية:

- الوقوف على أهم الفروق بالتعرض لنقاط الاختلاف والتقارب لهذا الموضوع بين المصدرين، ومعرفة العلاقة الكامنة بينهما.
- غياب الدراسات المقارنة المتعلقة بهذا الموضوع من طرف الباحثين, فلذا كان هذا البحث إسهاما منا في تغطية هذا النقص ولو جزئيا.

الدراسات السابقة:

وأما بالنسبة لدراسات السابقة لهذا الموضوع بالطرح الذي عرضنا فهي غير موجودة في حدود إطلاعنا, وإن وجدت فإنه يكون بشكل جزئي تناوله ثلة من الباحثين, وقد تعرض لهذا الموضوع خالد علي نبهان في كتابه: فرعون وموسى.

الصعوبات:

ندرة المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الموضوع وخصوصا ما يتعلق بالجانب التوراتي، فقد إعتمدنا بشكل كبير على سفر الخروج، وتفسيره

ضيق الوقت والذي تمثل في الأجل المحدد لإنجاز وتسليم هذه المذكرة وكونها متزامنة مع إنجاز البحوث الدراسية مما كان له تأثير على سير إنجازها والتفرغ لها.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدة مصادر ومراجع منها ماهو متعلق بالجانب التوراتي وآخر بالجانب القرءاني.

_**الجانب التوراتي** :اعتمدنا بشكل كبير على تفسير سفر الخروج ل:

_تادرس يعقوب ملطي

_فيما يخص **الجانب القرءاني** :فقد وظفنا عدة تفاسير أهمها

_تفسير القرءان العظيم ل:إسماعيل ابن كثير

_تفسير المنار:محمد رشيد رضا

_وقد سلكنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي والمنهج المقارن؛

فالمنهج الوصفي استعملناه بغرض وصف أشكال تلك النهاية التي حلت بفرعون وجنوده.

والمنهج المقارن الذي احتل مساحة لا بأس بها في هذه الدراسة لأن موضوعنا قائم على أساسه بحيث أننا اعتمدنا عليه في نهاية الفصول بحيث أننا عند عرضنا للجانب التوراتي ولقرءاني فإننا في مبحث خاص نقارن بين ما جاء في كل المصدرين

_وقد قسمنا بحثنا هذا إلى أربعة فصول مع مقدمة وخاتمة

_ففي الفصل الأول منه يعتبر كمدخل تمهيدي فقد ضبطنا فيه جميع مصطلحات ومفاهيم الأولية للعنوان، ففي المبحث الأول قمنا بالتعريف بالكتابين المقدسين، والمبحث الثاني ضبطنا فيه مفهوم النهاية في اللغة والاصطلاح، ومبحث ثالث:لتعريف بشخصية فرعون، تضمن تعريفه في اللغة والاصطلاح، ومطلب ثالث قمنا فيه بالتحقيق في شخصية فرعون موسى

_وفي الفصل الثاني تعرضنا فيه لأسباب النهاية في المصدرين وضم هذا الفصل ثلاث مباحث،الأول أسباب النهاية في التوراة والثاني أسباب النهاية في القرءان الكريم ومبحث ثالث مقارن من حيث الأسباب في كلا المصدرين.

_وفي هذا الفصل الثالث:_أحداث النهاية في المصدرين،ضم ثلاث مباحث الأول في التوراة والثاني في القرءان الكريم ومبحث أخير مقارن بين ما جاء في المصدرين.

_وفصل رابع أخير:أثر النهاية في المصدرين، تضمن هذا الفصل كذالك لثلاث مباحث، الأول الأثر في التوراة وثاني في القرءان ومبحث مقارن بين المصدرين.

_وفي خاتمة هذه الدراسة عرضنا أهم النتائج التي إستخلصناها من ما هو مبثوث في ثنايا مباحثها ومطالبها.

ونرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجه الله الكريم فما كان فيه من صواب فمنه وحده جلا جلاله وما كان فيه خطأ فمن أنفسنا والشيطان.

تمهيد:

قبل الخوض في التعريج عن نهاية فرعون في التوراة والقرآن والمقارنة بين ما جاء فيها, فقد ارتأينا أن نضع بين يدي القارئ هذا الفصل التمهيدي حتى يكون بصيرة ممّا هو لاحق, لذا فإنه يعتبر توطئة ممهدة للموضوع فهو خادم له بشكل كبير لأنه يعتبر ركيزة ودعامة وباب يوصل الوالج منه إلى إدراك وفهم الفصول الأخرى, ولأهمية هذا الفصل في هذا البحث فقد أوليناه عناية كبيرة وقسمناه إلى ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: التعريف بالكتابين المقدسين

المبحث الثاني: مفهوم النهاية

المبحث الثالث: شخصية فرعون

المبحث الأول: التعريف بالكتابين المقدسين

المطلب الأول: التعريف بالتوراة

الفرع الأول: لغة

"توراة" كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل "يوريه" بمعنى: يعلم أو "يوجه", وربما كانت مشتقة من فعل "باراة" بمعنى "يجري قرعة", ولم تكن "توراة" ذات معنى محدد في الأصل, إذ كانت تستخدم بمعنى "وصايا" أو "شريعة" أو "علم", أو "أمر" أو "تعاليم" [1]. كما تأتي أيضا بمعنى "الناموس" أو " الهدى" أو "القانون" [2], وقد ناقش المؤرخون العرب أصل معناها, فقال بعضهم: بأنها علم أخترع ووسع ليدل على الوحي الذي نزل على موسى عليه السلام, ومنهم من قال: إنها مشتقة من "الورى" أي "الزند", يرى وريا إذا خرجت ناره, إن التوراة ضياء ونور معتمدا على قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞ ﴾[3], ومنهم من قال: بأن التوراة اسم عبراني بمعنى: "الشريعة"[4].

الفرع الثاني: اصطلاحا

التوراة لفظة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس وهي باليونانية (بنتانيوخ) وفي الفرنسية (بنتاتيك) وهي تعني مؤلفا من خمسة أجزاء, ويسميها اليهود بالناموس أو ناموس موسى عليه السلام, وربما استخدم النصارى التوراة للدلالة على مجموع العهد القديم, وهي عندنا كلام الله عز وجل المنزل على عبده موسى عليه السلام لهداية البشر في عصره. ويرى بعض الباحثين أن التوراة لم تكن تعرف بهذا الاسم منذ القدم شأنها شأن الأسفار الخمسة التي تتألف منها[5].

---

[1] -عبد الوهاب محمد المسيري, **موسوعة اليهود واليهودية** ج5 (لا: ط, القاهرة _1999م) ص2443.

[2] -عبد الوهاب عبد السلام طويلة,**الكتب المقدسة في ميزان التوثيق** ط: 1, لا:م _ دار السلام_1410هـ-1990م) ص62.

[3] -سورة المائدة: 44.

[4] -سعدون محمود الساموك,**مقارنة الأديان**(ط: 1, عمان الأردن _ دار وائل _2004م) ص190_191.

[5] -داعماد علي عبد السميع حسين,**الإسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين**ط: 1, بيروت, لبنان_ دار الكتب العلمية_1425هـ_2004م) ص23.

ولكن الناظر إلى نصوص التوراة نفسها يجدها تحمل هذا الاسم في أكثر من موضع, ففي سفر التثنية: (وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة)[1], وهذا ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾[2].

وفيما يلي إعطاء صورة مختصرة وتعريف موجز بكل سفر من هذه الأسفار الخمسة.

أولا: سفر التكوين(genesis)

يسمى بالعبرية "براشيت" أي في البدء نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدأ بها, وفي اليونانية واللاتينية "جينزيز" أي "خلق" أو "تكوين" وبهذه التسمية يعرف في الترجمة العربية[3].

ويحتوي هذا السفر على خمسين فصلا, أو إصحاحا تحكي في خطوطها العريضة قصة بدء الخليقة, وقصص آدم, ونوح, والطوفان, وماكان من أمر أبناءه بعد الطوفان: سام, حام, ويافث, ثم تصل إلى الجد الأعلى الذي ينتمي إليه اليهود وهو إبراهيم, وتتحدث عن سلالته, مركزة الحديث عن إبنه إسحاق, ثم يعقوب بن اسحاق الذي يسمى أيضا إسرائيل[4], ثم ابنه يوسف, ومجيئه إلى مصر, ولحاق يعقوب وأبنائه الأحد عشر به, واستقرارهم في أرض الفراعنة, وينتهي هذا السفر بموت يوسف عليه السلام[5].

ثانيا: سفر الخروج (Exodus)

يسمى باليونانية واللاتينية rodus أي خروج وسمي بذلك لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر, ويحوي هذا السفر قصة بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام, وما عانوه من الفراعنة وظهور

---

[1] –سفر التثنية: (31 \ 9)

[2] – سورة آل عمران: 03.

[3] -أحمد حجازي السقا, **نقد التوراة_ أسفار موسى الخمسة, السامرية, العبرانية, اليونانية**_ط:1, لا:م, مكتبة النافذة 2005م) ص42.

[4] -تقول دائرة المعارف الكتابية, ج1, ص227: (أطلق الرب اسم إسرائيل على يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بعد مصارعته طيلة الليل في فنئيل في طريق عودته من فدان أرام, حيث قال له الرب: " لا يدعى فيما بعد يعقوب بل إسرائيل, لأنك جاهدت مع الله والنّاس وقدرت) [تك32/ 28] وكرر له الرب ذلك عندما باركه في بيت إيل [35: 10], ومعنى الاسم "يجاهد مع الله" أو "يصارع الله" ثم أطلق الاسم على كل نسل يعقوب) ينظر: خبايا الكتاب المقدس, ص113.

[5] -حسن ظاظا, **الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه** ط:4, دمشق الدار الشامية _دار القلم_1420هـ_ 1999م) ص14.

موسى عليه السلام وخروجه بهم من مصر. ويستمر هذا السفر في قص تاريخ بني إسرائيل حتى يصل إلى شرق الأردن, وفي هذا السفر الوصايا العشر التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه السلام, وبه كذلك كثير من المسائل الشرعية والتعاليم الدينية الخاصة بيهوة إله بني إسرائيل, ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد, وما حدث من بني إسائيل في غياب موسى عليه السلام, ويحتوي هذا السفر على أربعين إصحاحا[1].

ثالثا: سفر اللاويين (Leviticus)

اسمه في العبرية: ويقرأ "أي" و"دعا" نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبتدئ بها, وفي اليونانية واللاتينية "ليفيتكوس" أي "لاويين" نسبة إلى أسرة لاوي بن يعقوب عليه السلام[2].

ويسمى أيضا بسفر الأحبار ويحتوي على سبع وعشرين أصحاحا, وثالث سفر من أسفار موسى الخمسة, وفيه يتوقف السرد القصصي ليحل محله تناول شؤون العبادات, وخصوصا ما يتعلق بالأعياد, والأضحية, والقرابين, والمحرمات من الحيوانات والطيور, وما يتعلق بالطهارة, وكذلك التعاليم الأخلاقية, والنظم الاجتماعية, والتعليمات الخاصة بخيمة الاجتماع, والواجبات الملقات على عاتق الكهنة, وأحكام العشور والنذور[3].

رابعا: سفر العدد (Numbers)

اسمه في العبرية "بمدير" أي "برية" نسبة إلى الكلمة الأولى التي يبدء بها وفي اليونانية واللاتينية "نوميري" أي عدد ويحتوي هذا السفر على ستة وثلاثين إصحاحا, وسمي بهذا الاسم لبروز ظاهرة التعداد الدقيق خلال نصوصه, كما أن المعلومات المبينة على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحوى ذلك, وفي هذا السفر رجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى عليه السلام وقومه تتخللها الأحكام الشرعية في مختلف المسائل, والفتاوى الفقهية حسب ما يعني من ظروف, كما يكثر فيه تذمر العبريين من متابعة السير على خطوات موسى عليه السلام, وانحرافهم نحو ألوان من الفسوق والعصيان كثيرا ما أثارت غضب موسى عليه السلام[4].

---

[1] -أحمد شلبي, **مقارنة الأديان1 اليهودية**(ط:2, القاهرة _ مكتبة النهضة_1988م) ص233.

[2] -أحمد حجازي السقا, (مرجع سابق) ص55.

[3] -عبد الوهاب محمد المسيري (مرجع سابق) ص2443.

[4] -حسن ظاظا (مرجع سابق) ص16.

خامسا: سفر التثنية (Deuteronony)

اسمه في العبرية "هد بريم" أي " هذا هو الكلام" وهو ما يبتدأ به في السفر, واسمه في اليونانية واللاتينية: "دويترونوميوم"[1].

ويسمى هذا السفر أيضا بـ: "سفر تثنية الاشتراع", أي إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من "سيناء" ووصولهم إلى سهول "النقب", وجنوب الأردن في صحراء "مؤاب", وبالطبع كان هناك نسخ لبعض تعاليم الشريعة الأولى عند تثنيتها, أو إضافة لأشياء لم ترد قبل[2]. ويذكر سفر التثنية أن موسى قد كتب هذه التوراة ثم سلمها إلى الكهنة من "بني لاوي", ولجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم بقراءتها في نهاية كل سبع سنوات, هذا فضلا عن أن الكليم ـ عليه السلام ـ وإنما قد أمر اللاويين أن خذو كتاب التوراة هذا, وضعوه بجانب تابوة عهد الرب إلهكم, ليكون هناك شاهدا عليكم, لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هو ذا وأنا بعد حيّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتي اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض لأني عارف أنكم بعد موتي, تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام. ويحتوي هذا السفر على أربع وثلاثين إصحاحا[3].

وقد تطلق التوراة على العهد القديم ككل من باب إطلاق الجزء على الكل وقد يقصد بها أسفار موسى الخمسة, وهو ما ابتغيناه في بحثنا هذا.

---

[1] -أحمد حجازي السقا (مرجع سابق) ص60.

[2]- حسن ظاظا (مرجع سابق) ص16.

[3] –محمد البيومي مهران,**بنو إسرائيل الحضارة والتوراة والتلمود** ج3 (لا: ط, الإسكندرية _ دار المعرفة الجامعية _ 1999م) ص23.

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم

الفرع الأول: لغة

يقول أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ, كتابا وقرآنا وفرقانا ومعنى القرآن معنى الجمع وسمي قرآنا لأنه يجمع السور فيضمها وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾[1] أي قراءته. فأما قوله:

هنّ الحرائر, لا ربّات أحمرة سود المحاجر, لا يقرأن بالسور

فإنه أراد لايقرأن السور وزاد الباء*.

وقرأت الكتاب قراءتا وقرآنا ومنه سمي القرآن وأقرأه القرآن فهو مقرئ, وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى البعض وهو مصدر كالغفران والكفران, وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة تسمية للشيء ببعضه وعلى القراءة نفسها يقال قرأ, يقرأ, قراءة, قرآنا.[2]

ويقول عبد الله دراز" القرآن في الأصل مصدر على وزن فعلان بالضم كالغفران والشكران والتكلان نقول قرأته, قراءً وقراءة وقرآنا بمعنى واحد أي تلوته تلاوة[3].

ولقد ذهب العلماء في لفظ القرآن مذاهب عدة فهو عند بعضهم مهموز وعند بعض الآخر غير مهموز, فمن رأى أنه بغير همز: الفرّاء والأشعري.

أ – يقول الفرّاء: إنه مشتق من القرائن, جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا فكان بعضها قرينة على بعض, وواضح أن النون في قرائن أصلية.

ب –يقول الأشعري: إنه مشتق من (قرن الشيئ بالشيئ) إذا ضمه إليه لأن السور والآيات تقرن فيه ويضم بعضها إلى بعض.

وممن رأى أن لفظ القرآن مهموز: الزجاج, واللحياني.

---

[1] –سورة القيامة: 17.

* البيت للراعي النميري في ديوانه, ص122, (أنظر: جمال الدين ابن منظور, لسان العرب, بيروت _ دار صادر _ فصل القاف, ص128).

[2] -(المرجع نفسه) ص129.

[3] -محمد عبد الله دراز, **النبأ العظيم**(ط:7, الكويت _ دار القلم _1413هـ _ 1993) ص12.

أ – يقول الزجاج: إن لفظ القرآن مهموز على وزن فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع ومنه قرأ الماء في الحوض إذا جمعه, لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة.

يقول اللحياني: إنه مصدر مهموز بوزن الغفران, مشتق من قرأ بمعنى تلا سمى بالمقروء تسمية للمفعول بالمصدر.

والأخير أقوى الآراء وأرجحها, فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة[1].

الفرع الثاني: اصطلاحا

للقرآن الكريم تعاريف عدة, وذلك راجع إلى آراء المذاهب والفرق بحيث أنه اختلفت الرؤى في تعريفه وضبط مفهومه:

أولا: تعريف القرآن عند المتكلمين

وقد عرفوه بتعاريف عدة أهمها

1 -القرآن: " صفة قديمة متعلقة بالكلمات الحكمية, من أول الفاتحة إلى آخر سورة النّاس".

2 -القرآن: " هو تلك الكلمات الحكيمة الأزلية المرتبة في غير تعاقب المجردة عن الحروف اللفظية, الذهنية, الروحية".

ثانيا: تعريف القرآن عند الأصوليين

هم كذلك عرفوه تعاريف عدة أهمها

1 -القرآن: "هو اللفظ المنزل على النبي ﷺ من أول الفاتحة إلى آخر سورة الفاتحة الممتاز بخصائصه".

2 -القرآن: " كلام الله المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر, المتعبد بتلاوته"[2].

وقال أهل السنة والجماعة " القرآن ـ ويسمى بالكتاب أيضا ـ كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب في مصاحفنا, محفوظ في قلوبنا مقروء بألسنتنا, مسموع بآذاننا غير حال فيها,

[1] -تقية عبد الفتاح, **الميسر في علوم القرآن**(ط:3, الجزائر _ قصر الكتاب _ د:ت) ص49 _ 50.

[2]- تقية عبد الفتاح (مرجع سابق) ص45.

لأن كلام الله ليس من جنس الحروف والأصوات لأنها حادثة, وكلام الله صفة أزلية قديمة منافية للسكوت الذي هو ترك التكلم مع القدرة عليه, والآفة التي هي عدم مطاوعة الآلات بل هو معنى قديم قائم بذات الله تعالى يلفظ ويسمع بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وأشكال موضوعة للحروف الدالة عليه.

فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم كقولنا القرآن غير مخلوق فالمراد حقيقته الموجودة في الخارج وحيث يوصف بما هو من لوازم المخلوقات يراد به الألفاظ المنطوقة المسموعة

كقولك حفظت القرآن[1].

وحتى نضبط القرآن الكريم بتعريف جامع مانع إرتأينا أن نختم جملة التعاريف السابقة بالتعريف الآتي" القرآن هو اللفظ العربي المعجز المنزل من الله ﷻ عن طريق ملك الوحي جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المكتوب في المصاحف منذ عهد عثمان رضي الله عنه المبدوء بسورة الفاتحة, المختوم بسورة الناس[2].

وفي هذا المقام يجدر بنا أن ننبه على محترزات هذا التعريف:

فخرج بقولنا: " اللفظ العربي المعجز" أشعار العرب و أراجيزهم ونثرهم لأنها غير معجزة.

ونخرج بقولنا: " المنزل من الله ﷻ " كلام الله غير منزل, إذ ليس كل كلا إليه منزلا, وقد قال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩ ﴾[3] فكلمات الله إذن ليست محدودة, والمنزل منها قليلا وكثيرا.[4]

وخرج بقولنا " على النبي ﷺ" المنزل على غيره من الأنبياء كالتوراة والإنجيل والصحف.

---

[1] –محمد علي التهانوي,**موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**ت: علي دحروج, ج2 (ط: 1, بيروت لبنان _ مكتبة لبنان ناشرون_1996م) ص106 _ 107.

[2] –محمد عبد الله المهدي البدري,**القرآن الكريم تاريخه, علومه**(ط: 1, دبي _ دار القلم _1404هـ _1984م) ص13.

[3] –سورة الكهف: 109.

[4] –أحمد حسن فرحات, **في علوم القرآن _ عرض ونقد وتحقيق**(ط:1, عمان الأردن _ دار عمار _ 1421هـ _ 2001م) ص26.

وخرج بقولنا: "المتعبد بتلاوته", الأحاديث القدسية على الرأي بأن لفظها من عند الله فإنها ليست معجزة.

وخرج بقولنا: " المنقول إلينا بالتواتر" جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة, سواء نقلت بطريق الشهرة كقراءة (ابن مسعود) أو بطريق الآحاد[1].

وللقرآن الكريم أسماء كثيرة نذكر منها[2]:

القرآن: قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [3]

قد كان أكثر هذه الأسماء دورانا هو لفظ القرآن فقد جاء في نحوي سبعين آية وكان فيها صريحا في تسميته ومدلوله الخاص من أجل ذلك كتبت لهذا الفظ الغلبة على غيرها وصارت الاسم الغالب[4].

الكتاب: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾ [5]

الفرقان: قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[6]

الذكر: قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [7]

وقد غلب من أسمائه: القرآن والكتاب, قال عبد الله دراز: روعي في تسميته قرآنا مثلوا بألسن, كما روعي في تسميته كتابا كونه مدونا بأقلام, فكلا التسميتين من تسمية شيئ بالمعنى الواقع عليه.

---

[1] -محمد بن محمد أبو شهبة, **المدخل إلى القرآن الكريم**(ط:1, القاهرة _ مكتبة السنة _1412هـ _ 1992م) ص20_21.

[2] -مناع خليل القطان, **مباحث في علوم القرآن**(ط:3, لا:م _ مكتبة المعارف _1421هـ_ 2000م) ص15_17.

[3] -سورة الإسراء: 9.

[4] -إبراهيم بن إسماعيل الأبياري, **الموسوعة القرآنية**(لا: ط, لا: م _ مؤسسة سجل العرب _1405هـ) ص347.

[5] -سورة الأنبياء: 10.

[6]- سورة الفرقان: 01.

[7]- سورة الحجر: 09.

وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد إي أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعا, أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجمع عليه من الأصحاب, المنقول إلينا جيل بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة, ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبييها, بقي القرآن محفوظا في حرز حريز, إنجازا لوعد الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾[1] ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند[2].

[1] –سورة الحجر: 09.

[2] -عبد الله دراز, النبأ العظيم (مرجع سابق)22.

المبحث الثاني: مفهوم النهاية

المطلب الأول: لغة

النهاية مأخوذة من الفعل نهى ينهي نهيا أو نهاية, النون والهاء والياء أصلا صحيح يدل على غاية وبلوغ ومنه أنهيت إليه الخبر, بلغته إياه ونهاية كل شيء غايته ومنه نهيته عنه وذلك لأمر يفعله فإذا نهيته فانتهى عنك فتلك غاية ما كان وآخره والنّهية: العقل, لأنه ينهى عن قبيح الفعل والجمع نهى وطلب الحاجة حتى نهى عنها[1].

والنهي: هو الزجر عن الشيء قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ ﴾[2]

ويقول أيضا ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾[3], أي بلغ به نهايته والإنهاء في الأصل إبلاغ النهي, وتنهية الوادي حيث ينتهي إليه السيل ونهاء النهار ارتفاعه وطلب الحاجة حتى نهى عنها أي انتهى عن طلبها ظفر بها أم لم يظفر[4].

ومن خلال كل ما سبق ذكره نستنتج أن مصطلح النهاية في اللغة يدل على نهاية الشيء وبلوغه منتهاه.

المطلب الثاني: اصطلاحا

المقصود بالنهاية في هذا البحث نهاية فرعون وهلاكه مع جنوده وقد كانت هذه الأخيرة عندما تمادى قبط مصر عل كفرهم وعتوهم وعنادهم متابعة لملكهم فرعون ومخالفة لنبي الله ورسوله وكليمه موسى عليه السلام, وأقام الله على أهل مصر الحجج العظيمة القاهرة وآراهم من خوارق العادات.

---

[1] –ابن فارس, معجم مقاييس اللغة, تحقيق عبد السلام محمد هارون, 5ج(لا: ط, لا: م _ دار الفكر _1399هـ _1979م) ص 359.

[2] -سورة العلق: 09 _ 10.

[3] –سورة البقرة: 275.

[4] -الراغب الأصفهاني, **مفردات في غريب القرآن** ج1 (لا:ط, لا:م _ مكتبة نزار مصطفى الباز, د: ت) ص656_657.

وقد تمت نهاية فرعون بسبب دعاء موسى عليه السلام عليهم عندما قال: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [1]

فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه, وكانت نهاية فرعون وجنوده نهاية أليمة بحيث أغرقهم الله في البحر.

وستكون الفصول القادمة موضحة ومبينة لأسباب وأحداث هذه النهاية.

[1] -سورة يونس: 88.

المبحث الثالث: التعريف بشخصية فرعون

المطلب الأول: لغة

قيل أنه مشتق من الفرع والفرع جمعه فروع قال تعالى: ﴿ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1] وفرع الشجر غصنه وقد اعتبر هذا الأخير على وجهين أحدهما بالطول, فقيل فرع كذا إذا طال, وسمي شعر الرأس فرعا لعلوه والثاني بالعرض, فقيل تفرع كذا وفروع المسألة. وفروع الرجل أولاده, وفرعون اسم أعجمي قد اعتبر عرامته فقيل: تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون كما يقال أبلس وتبلس ومنه قيل للطغاة: الفراعنة والأبالسة[2].

المطلب الثاني: اصطلاحا

لقد اختلف في اسم فرعون: هل هو يمت بصلة لأسماء وألقاب ملوك واد النيل والأدلة الآتية تثبت بأنه لا يمت بأي صلة.

الدليل الأول: لم يأتي هذا الاسم في القرآن جمعا أبدا فلم ترد كلمة الفراعين, على غرار الأمراء والملوك ذلك لأن أسماء الأعلام لا تجمع.

الدليل الثاني: جاء اسم فرعون ملازما لاسمين لشخصين من الأعلام مرة قبلهما ومرة أخرى بينهما, فلا بدّ لغويا أن تكون كلمة فرعون اسما لشخص مثل ما قبلها وما بعدها يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ ﴾ [3]

الدليل الثالث: جاء مصحوبا بياء النداء وهي تأتي مع أسماء الأعلام مثل يا أحمد, يا مصطفى, ففي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ ﴾ [4]

فهذا يدل على أن فرعون هو اسم علم لرجل وليس بلقب[1].

---

[1] -سورة إبراهيم: 24.

[2] -الراغب الأصفهاني, مفردات في غريب القرآن (مرجع سابق) ص487 _ 488.

[3] -سورة غافر: 23 _ 24.

[4] -سورة الأعراف: 104.

واختلف في كون فرعون علم شخص أو علم جنس, فقد قال الزمخشري: وفرعون علم لمن ملك العمالقة في مصر, وقال المسعودي لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية وقال ابن منظور في لسان العرب " الفرعنة: الكبر والتجبر... وفرعون الذي ذكره الله ﷻ في كتابه من هذا, وإنما ترك صرفه في قول بعضهم لأنه لا سيمي له مثل إبليس فيمن أخذه من أبلس.

والراجح هو أن فرعون ليس علم شخص لأنه لا يوجد شخص يسمى به وإنما هو علم جنس, لأنه لقب يطلق على كل من ملك مصر في الفترة التي كان فيها بنو إسرائيل في مصر مهما كان اسم ذلك الملك ويوصف "بفرعون " إلى كل من تشبه بفرعون في تجبره وعتوه[2].

والخلاصة أن كلمة (فرعون) علم جنس يطلق على من ملك مصر في القديم, وأنه كلمة أعجمية, وأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة _ والله أعلم _ وقد وردت كلمة فرعون أربع وسبعين مرة في القرآن, في سورة البقرة مرتين, وفي سورة آل عمران مرة, وفي سورة الأعراف تسع مرات, وفي سورة الأنفال, وفي سورة يونس ست مرات, وفي سورة هود ثلاث مرات, وفي سورة إبراهيم مرة, وفي سورة الإسراء مرتين, وفي سورة طه خمس مرات, وفي سورة المؤمنون مرة. ومجموع السور التي ذكر فرعون فيها سبع وعشرون سورة مابين مكية ومدنية وذكر فرعون في القرآن مقرون بتعذيب بني إسرائيل في مصر وبقصة موسى عليه السلام.[3]

المطلب الثالث: التحقيق في فرعون وموسى

وبعد تعريجنا عن تعريف فرعون في اللغة والاصطلاح, يجدر بنا أن نقدم لمحة للتحقيق فيها عن فرعون صاحب موسى عليه السلام, ذلك لأنه وقع لبس كبير واختلاف عظيم بين الباحثين حول هذه الشخصية التي تبوأت مكانة مرموقة في التاريخ الفرعوني وقد أورد رشدي البدراوي في كتابه "من هو فرعون موسى" أربعة عشرة رأيا في فرعون صاحب موسى.[4]

---

[1] –عاطف عزت, **فرعون موسى** (لا:ط, مصر, مدينة العاشر بن رمضان _نفر تاي للدراسات والنشر يناير 2010م) ص من 11 إلى 13.

[2] –صلاح عبد الفتاح الخالدي,**الأعلام الأعجمية في القرآن**(لا: ط, دمشق _ دار القلم _ د:ت) ص115 _116.

[3] -(المرجع نفسه) ص117.

[4] -رشيد البدراوي, **موسى وهارون _ عليهما السلام _ من هو فرعون** لا: ط, القاهرة مصر–1998م) 660 – 669

كما أورد خالد علي نبهان في كتابه فرعون موسى ستة آراء في ذلك.[1]

وبين أحمد عبد الغفور عطار آراء الباحثين في هذه الشخصية جامعا لمعظمها فقال:

اختلف الباحثون في فرعون موسى وتعددت أقوالهم في شخصيته, ولا اتفاق بين الباحثين فيها.

1 -فرويد: يرى أن فرعون موسى هو " أخناتون .

2 -وجاء في "الموسوعة العربية الميسرة " (ص 1762) مادة منفتاح: أن فرعون موسى هو (منفتاح).

وهذا ما ذهب إليه أحمد يوسف في كتابه " فرعون موسى ".

وأخذ عبد الوهاب النجار في كتابه: " قصص الأنبياء: برأي أحمد يوسف.

وهو رأي إعتمدته " دائرة المعرف الحديثة", (ص658) مادة منفتاح.

وذكر الأستاذ طه محمد الساكت في العدد (38) من مجلة " الإسلام " التي كانت تصدر بالقاهرة أنه: " رمسيس الثاني ".[2]

وأمام هذه الآراء العديدة يصعب علينا الجزم بأن أحد هؤلاء هو فرعون موسى دون غيره, ولذلك فإنا نرجح ما ذهب إليه "موريس بوكاي" حيث قرر أن هناك فرعونين زامنا موسى عليه السلام: فرعون الاضطهاد وهو " رمسيس الثاني" (1290_1224ق.م), وفرعون الخروج هو:" منفتاح (1224_ 1214 ق.م) ابن رمسيس الثاني.[3]

---

[1] خالد علي نبهان, **فرعون وموسى _ دراسة تاريخية عن فرعون والفراعنة العماليق بمنهج عربي جديد**(ط:1, لا: م_ مكتبة النافذة _2005م) ص91_ 115.

[2] -أحمد عبد الغفور عطار, **الديانات والعقائد في مختلف الصور**ج2 (ط:1, مكة المكرمة , 1401هـ_1981م) ص143_144.

[3] -موريس بوكاي,**التوراة والإنجيل والقرآن والعلم**تـ: نخبة من الدعاة (ط:2, بيروت, لبنان _ دار الفتوى _ 1398هـ _ 1978م) ص197_ 200.

المبحث الأول: أسباب النهاية في التوراة

تمهيد:

لم يكن القرآن الكريم وحده هو من أورد لنا أسباب نهاية فرعون وجنوده, وإنما النص التوراتي أيضا لم يخل من الحديث عن أسباب هذه النهاية والحديث عن مجموع الضربات والعقوبات التي أرسلها الرب على المصريين تأديبا وعقابا جراء ما فعلوه من آثام ومخالفات.

وسنحاول في هذا الفصل التطرق لأهم الأسباب التي أدت إلى هذه النهاية التي ورد ذكرها في التوراة, والقرآن الكريم حتى يتبين ويتضح للقارئ ماهيتها.

وتم تقسيم هذا الفصل على النحو التالي:

مبحث خاص بأسباب النهاية في التوراة وآخر مثله في القرآن الكريم ومبحث ثالث للمقارنة بين ما جاء في المصدرين المذكورين في هذا المجال.

قبل أن نعرج على ذكر أحداث النهاية التي حلت بفرعون وأثار هذه النهاية عليه وعلى قومه وعلى بني إسرائيل ينبغي أن نقدم أهم الأسباب التي ورد ذكرها في كتاب التوراة, كمقدمة للحديث عن الأحداث والآثار.

فالمستقرأ لسفر الخروج في إصحاحاته الأولى يجد أهم تلك الأسباب التي من أجلها أرسل الرب ضرباته المتتالية على المصريين فهي لم تكن دون سابق إنذار بل وطأ لها بمقدمات تمثلت في هذه الأسباب التي سنوردها في هذا المبحث.

المطلب الأول: الإضطهاد الفرعوني للإسرائيليين

تحدث الإصحاح الأول من سفر الخروج عن إضطهاد فرعون وجنوده لبني إسرائيل, الذين تكاثروا في مصر,وباتوا يشكلون خطرا جسيما على أصحاب البلاد الأصليين.

فقد ذكر هذا الإصحاح ما كان من نمو بني إسرائيل وتكاثرهم, وامتلاء الأرض بهم, وخشية ملك مصر من عواقب ذلك, واضطهادهم لهم وتسخيرهم إياهم في بناء مدن" فيثوم" و "رعمسيس " وتشغيلهم بالطين واللبن والأعمال الشاقة[1].

[1] –محمد عزة دروزة, **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**(لا: ط, صيدا, بيروت, لبنان _ منشورات المكتبة العصرية _ 1389هـ _ 1969م) ص65.

فقد جاء فيه " وقام ملك جديد على مصر, وكان لا يعرف يوسف, فقال لشعبه: انظروا كيف سار بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا, تعالوا نحكم القبضة عليهم لئلا يكثروا, فإذا وقعت حرب ينضمون إلى خصومنا ويحاربوننا, ويسيطرون على أرضنا, فأوكلوا أمرهم إلى المسخرين يرهقوهم بالأثقال, فبنو لفرعون مدينتي فيثوم ورعمسيس لخزن المونة, ولكنهم كانوا كلما أرهقوهم يتكاثرون, وينتشرون حتى يتخوف المصريون منهم فأخذوا يستعبدونهم بعنف, فنغصوا حياتهم بأشغال شاقة بالطين واللبن, وسائر الأشغال في الحقول, وكانوا في هذا كله يستخدمونهم من دون رحمة "[1].

فانظر إلى مدى هذا الاضطهاد وهذا العذاب الأليم! ما أشدّه وما أعظم وقعه على قوم حلوا غرباء بديار أهلها لا يكرمون الأضياف, وإنما عاملوهم بما هو مذل وساخر وقهروهم بالعذاب بشتى أنواعه وإن هذا الاضطهاد, اضطهاد لشعب الرب المختار الذي خرج مهاجرا لأرض الأقباط, لما كان أصابهم من سنين أجدبت أرضها وأيبست زرعهم.

ولقد أذل فرعون الشعب, وأيما شعب؟ إنه شعب متميز عما سواه من الشعوب الأخرى, شعب له رب غيور, يحميه عند الشدائد والمحن فمن أجل تخليص هذا الشعب كان لزاما على الرب أن يضرب بضرباته الموجعة للمصريين, الذين كانوا يسومون شعبه سوء العذاب فكان الاضطهاد الفرعوني للإسرائيليين سببا في ما حلّ به وبقومه من ضربات قاسية ومتتابعة

المطلب الثاني: القتل

إن اضطهاد فرعون لبني إسرائيل لم يتوقف على جعل الفراعنة من بني إسرائيل عبيدا له وتسخيرهم في بناء مدنهم وإنما تعداه إلى قتل الأطفال الأبرياء بحيث أنه في ذلك الزمان أمر فرعون بتذبيح ذكور بني إسرائيل من المواليد الجدد.[2]

وذلك للسيطرة عليهم حتى يثبت في سلطانه الموروث أبا عن جد.

ومن أجل تحقيق هذا المطلب, فقد دعا فرعون من القابلتين اللتين تولدان نساء بني إسرائيل, تنفيذ ذلك الحكم الخبيث, وهو قتل كل مولود ذكر وهذا ما يبينه الإصحاح الأول من سفر

---

[1] -سفر الخروج, 1 (8 \ 14)

[2] -نضال عباس, **قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة (دراسة مقارنة)**, رسالة ماجيستير, غير منشورة جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا, نابلس _ فلسطين, 2002م, ص17.

الخروج حيث جاء فيه " وقال ملك مصر لشفرة وفوعة التين كانتا تولدان نساء العبرانيين, عندما تولدان نساء العبرانيين أنظرا بين الركبتين فإذا كان ذكرا فاقتلاه وإن كانت أنثى فأبقيا عليها".[1]

يقول تادرس يعقوب في ذلك " استدعى فرعون قابلتيّ العبرانيات شفرة وفوعة, وطلب منهما أن يقتلا كل طفل ذكر عند ولادته ويستبقيا البنات, وكان هذا الأمر سهلا, فقد كانت العادة المتبعة في مصر في ذلك الحين أن تتم الولادة على كرسي خاص فتستطيع القابلة أن تقتل الطفل قبل أن يراه أحد".[2]

لكن القابلتين لم يقتلا أطفال العبرانيين, فخالفتا بذلك أمر فرعون لهما, بحجة أن نساء العبرانيين قويات, بحيث يلدن بأنفسهن قبل دخول القابلات عليهن, وهذه الحجة في حقيقة الأمر ليست هي التي كانت سببا في امتناعهن عن قتل أولاد العبرانيين الذكور بل مخافة الله المغروسة في قلبي القابلتين, وكانت هي السبب الرئيس في امتناعهن عن تنفيذ أمر ملكهم.[3]

وعند إعراض القابلتين عن القتل لجأ فرعون إلى أمر آخر بديل وذلك عندما كثر بنو إسرائيل وعظم شأنهم بحيث أن فرعون قال لشعبه "اطرحوا في النهر كل ذكر يولد لبني إسرائيل وأبقوا على كل أنثى".[4]

فهذه الطريقة الجديدة ابتكرها فرعون للقضاء على الإسرائيليين لما لم تفلح الأولى وكلا الطريقين أو الأسلوبين يؤديان إلى إستئصال شعب الله المختار وكان هذا هو هدف فرعون وهو محو بني إسرائيل من وجه الأرض.

المطلب الثالث: رفض فرعون إطلاق شعب بني إسرائيل

وذلك حتى يستغلهم في خدمة مملكته, لأنه كان يعتبرهم خدما وعبيدا, ولذلك أذلهم, ولم يسمح لهم بالخروج ولا بمغادرة محيط دولته.

---

[1] -سفر الخروج, 1(15\ 16)

[2] -تادرس يعقوب ملطي **تفسير سفر الخروج** لا:ط, القاهرة _ دار الكتب العلمية _ د:ت) ص21.

[3] -سفر الخروج, 1 (17 \ 19)

[4] -سفر الخروج, 1 (22)

فأرسل الرب موسى من أجل تخليص بني إسرائيل من هذا الطاغية الذي أذل القوم ونكل بهم, لكنه كعادة كل متكبر مستكبر عن الحق أبى إطلاق الشعب بل تنكر للرب متجاهلا وجوده مقللا من شأنه, حيث جاء في سفر الخروج" وبعد ذلك دخل موسى وهارون على فرعون وقال له: قال الرب إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعيدوا لي في البرية, فقال فرعون من هو الرب حتى أسمع له وأطلق بني إسرائيل؟ لا أعرف الرب ولا أطلق بني إسرائيل.[1]

أمر المسخرين بالقسوة عليهم حتى يتلهوا بذلك عن التفكير في أمر الخروج وعن الكلام الباطل, فهذه الطريقة تساعده في تسيير الأمور لصالحه وتبقي له الحظوظ قائمة على تملك الشعب.

ولقد كان هذا الرفض الفرعوني المتمثل في عدم السماح لشعب الله المختار بالخروج من مصر سبب في إنزال العقاب عليه وعلى قومه, ما داموا على غيهم مسترسلين ما لبث الخطاب الموسوي لا ينفع فيهم نصائحه بالتي هي أحسن فكان لا بدّ من اللجوء إلى الخطاب عن طريق إرسال العقاب عليهم ومن ثمّ يخلص الرب شعبه بإخراجهم من مصر بقوة دون استشارة فرعون ولا حتى اعتباره موجودا.

المطلب الرابع: قساوة قلب فرعون ونكثه للعهود

إن قساوة القلب تطمس نور الحق, والصراط المستقيم, وتجعل الفرد يتخبط في لجج الأباطيل, فيرى الظلم عدل والكذب صدق والباطل حقا, وهذا هو طبع فرعون وديدنه تجاه دعوة موسى عليه السلام. كما تذكر التوراة _ فقد ختم الرب على قلبه فأعمى بصيرته وقسى قلبه, فكلم الرب موسى قائلا " ولكني أقسي قلب فرعون ومهما أكثرت عجائبي ومعجزاتي في أرض مصر, فلن يسمع لكما حتى أرفع يدي على أرض مصر. وأخرج جموع شعب بني إسرائيل من هناك بما أنزله بالمصريين من أحكام رهيبة ".[2]

وقد أدت هذه الخطة الذميمة في خلق صفة أخرى من صفات الاستكبار والتعالي هي نكث العهود, فكان في كل مرة وبعد كل ضربة (عقوبة) من قبل الرب يعد موسى بإطلاق الشعب, لكنه بمجرد تولي ذلك العذاب عنه يخلف وعده وينكث عهده فتحل به وقومه

[1] -سفر الخروج, 5 (1\2)

[2] - سفر الخروج, 7 (3\4)

مصيبة أخرى أشد من الأولى, فعند رفع البلاء الأول عنهم وهو تحويل الماء إلى دم, ثم بعد نجاتهم يعودون إلى غيهم وإعراضهم ونكثهم له الذي أولوه لله تعالى, وصولا إلى ضربة "البرد" بحيث أن الله ﷻ قال لموسى عليه السلام أن يخبر فرعون بأنه إن لم يطلق بني إسرائيل ليعبدوا ربهم فسوف يرسل الله تعالى عليهم بردا عظيما في كل أرض مصر [1]: " ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف أمام فرعون وقل له هكذا يقول الرب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني لأني هذه المرة أرسل جميع ضرباتي إلى قلبك وعلى عبيدك وشعبك لكي يعرف أني ليس مثلي في كل الأرض".[2]

فهذه هي حال كل ظالم متعال عن الحق يستسلم عند نزول البلاء ووقوع الضراء فعندما يعد الرب بإطلاق شعب بني إسرائيل, ينكث عهده عند زوال العقوبة, لأنه لا يخاف الرب بل يخشى المصائب, فبمجرد زوالها وإنقشاعها يعود إلى ما كان عليه, فلأجل هذا أرسل الرب ضرباته بشكل متتابع على المصريين حتى يتم خلاص العبرانيين فيعودوا للرب في طمأنينة وسلام.

[1] -عبد الله عمر رشيد, **موسى وهارون عليهما السلام في الأسفار الخمسة** عرض ونقد في ضوء القرآن الكريم) رسالة ماجيستير في العقيدة, غير منشورة, جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين, مكة المكرمة _ المملكة العربية السعودية ,1426هـ _ 1427هـ. ص197

[2]- سفر الخروج 9 (13 \ 15)

المبحث الثاني: أسباب النهاية في القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم في غير ما آية عن أهم الأسباب التي أدت نهاية فرعون وجنده, وقد خصصنا هذا المبحث للحديث عن الأسباب الدينية والاجتماعية الواردة في القرآن الكريم معتمدين في هذا على ما ورد في سورة الأعراف لأنها المعين الذي نستخلص منه كل ما يتعلق بهذا الموضوع.

المطلب الأول: الأسباب الدينية

لقد بعث الله موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده ويحذرهم من عاقبة الشرك به حتى يتخلصوا من أدران الوثنية وقد كانت دعوته كغيرها من دعوات آبائه وإخوانه من الأنبياء, إذ لقنه ربه أصل التوحيد واصطفاه بحمل الرسالة والقيام بأعبائها.[1]

ولكن تعنت فرعون وقومه حال دون نجاح تبليغ هذه الرسالة السماوية.

وهذا المطلب سيكون مبينا وشارحا لأهم الأسباب الدينية التي من أجلها أوجبت تسليط عقوبات على المصريين, والتي كانت عبارة عن تنبيهات من قبل الله عز وجل حتى ينتهوا عن فعلهم الشنيع إلا أنّ أفعالهم قادتهم إلى نهاية أليمة.

أولا: رفض الدعوة الموسوية

لقد بلغ موسى عليه السلام الرسالة وأدى الأمانة, ونصح قومه نصيحة المشفق الحريص عليهم, لكنهم رغم كل هذا لم يتعظوا ولم يصغوا لأقواله فشدد الله على قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة, بل تعنتوا وتجبروا وقالوا: ﴿ **أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾** ﴾[2]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبر الله تعالى أنه بعث رسوله موسى عليه السلام وأخاه هارون إلى فرعون وملئه بالآيات والحجج الدامغات والبراهين القاطعات وأن فرعون وقومه استكبروا

---

[1] -هادي المدخلي, **منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله** ط: 1, الشارقة _ دار الفتح _1415هـ _1994م) ص68.

[2] -سورة المؤمنون: 47.

لإتباعهما والانقياد لأمرهما لكونهما بشرين كما أن الأمم الماضية أنكرت بعثة الرسل من البشر تشابهت قلوبهم فأهلك الله فرعون وملئه.[1]

كيف نضع ذلك, وذلك حيث أتوهم بالرسالة فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون, فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم الأمم بتكذيبها رسلها.[2]

وقد كذبوا بآيات الله لما جاءتهم وجحدوا بها ظلما وعتوا فأرسل الله عليهم آياته فكانوا يظهرون الإيمان عند كل آية من آيات العذاب ثم يكذبون حتى إذا انقض الأجل المضروب لهم انتقم منهم بسبب أنهم كذبوا بها كلها, وكانوا غافلين عما تقتضيه وتستلزمه من عذاب الدنيا والآخرة إذ كانت في نظر أكثرهم من قبيل السحر, وكانوا يكابرون أنفسهم في كل آية, ويحاولون أن يأتي سحرتهم وعلماؤهم بمثلها ويحملون عجزهم على تفوق موسى عليه فيها, ومن جهة أخرى منهم من ظهرت له دلالة آيات موسى على الحق, فيؤمن بها جهرا بعض منهم ككبار السحرة, وهناك من يؤمن بها فيكتم إيمانه كالذي عارض فرعون وملئه في قتل موسى بالحجة والبرهان وهناك من جحد بها لمحض العلو والكبرياء كفرعون وأكابر الوزراء والرؤساء.[3]

ولقد بلغ فرعون وملئه في الكفر والعناد ما بلغوا, فقد أعمى الحق أبصارهم, وطلبوا مبارزة موسى عليه السلام في السحر لأنهم لم يعترفوا به كرسول من الله جاءهم بالحق من عنده بل وقد اعتبروه ساحرا مبينا.[4]

إن فرعون والملأ والجماهير أصبحوا على يقين بالنصر والظفر, فهم يترقبون لحظة الاستسلام من موسى, فماذا باستطاعته أن يفعل وقد امتلئت الأرض بالسحر العظيم؟ ثم ما هي إلا لحظات حتى بدا لهم من موسى ما لم يكونوا يحتسبون " ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

---

[1] -أبو الفداء إسماعيل بن كثير,**تفسير القرآن العظيم** ج5 (لا:ط, بيروت لبنان– دار الأندلس _ د: ت) ص20.

[2] –محمد بن جرير الطبري, **جامع البيان في تفسير القرآن**,مج 8 (لا:ط, بيروت, لبنان _ دار الفكر1398هـ _ 1978م) ص19.

[3] -محمد رشيد رضا, **تفسير المنار**, مج9 (ط:2, بيروت, لبنان _ دار المعرفة _ د: ت) ط95_96.

[4] -أحمد البراء الأميري, **فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم** ط: 1, دمشق, سوريا _ دار القلم _1420هـ _ 2000م) ص 386.

تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [1] ثم نتلوها مفاجأة أخرى تهز عرش فرعون حين أعلن السحرة إيمانهم [2] يقول تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [3]

ثانيا: إدعاء فرعون للألوهية والربوبية

لم يكتف فرعون بتكذيب موسى عليه السلام في دعوته, والاستنكاف عن عبادة الله والإعراض عن الدين الحق, بل يغري قومه بأباطيل, فادعى الألوهية والربوبية, لأن التأليه يضعه في مركز الأمر والنهي, بلا حدود ومن خلاله يستطيع تنفيذ أهدافه في السلطة المطلقة, [4] فأما عن إدعاءه للألوهية فقد بينه الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [5] فانظر لهذه الكلمة الفاجرة الكافرة لما علمت لكم من إله غيري, كيف تلقفها الملأ بالإقرار والتسليم مع علمهم بكذب فرعون.[6] يقول المراغي معلقا على الآية السابقة " أي وقال فرعون: يا أيها القوم, ما علمت لكم في أي زمن إله غيري, كما يدعي موسى, والأمر محتمل أن يكون وسأحقق ذلك لكم, وهذا

---

[1] –سورة الشعراء: 45.

[2] -قاسم توفيق قاسم خضر, **شخصية فرعون في القرآن** رسالة ماجيستير غير منشورة, جامعة النجاح الوطنية, نابلس, فلسطين, 1423هـ_ 2003م. ص25.

[3] –سورة الشعراء: 46_47_48.

[4] –زاهية الدجاني, **المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام** ط:1, بيروت, لبنان– دار التقريب _ 1418هـ_1998م) ص44

[5] –سورة القصص: 38

[6] -عبد الهادي بن سعد السمراني,**الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية** (ط:1, السعودية _ دار ابن الجوزي _1427هـ) ص304.

كلام ظاهره الإنصاف ليتوصل بذلك إلى قبولهم ما يقول لهم بعد ذلك في شأن الإله, وتسليمهم إياه اعتمادا على ما رأوا من عظيم نصفته في القول".[1]

أما إدعاؤه للربوبية فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[2], وقد قال هذا تأكيدا لما قال في السابق من زعم ادعى به الألوهية, فكأنه أراد بهذا القول الأخير الجمع بين الألوهية والربوبية حتى تعم صورة الهيمنة في قلوب ونفوس المستضعفين من قومه.

يقول القرطبي في تفسير هذه الآية "أي لا رب لكم فوقي, ويروي أن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنسان بمصر في الحمام فأنكره فرعون, فقال له إبليس: ويحك أما تعرفني؟, وقال: لا, قال: كيف وأنت خلقتني؟. ألست القائل: أنا ربكم الأعلى.

وقال عطاء: كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وقال أنا رب أصنامكم, وقيل: أراد القادة والسادة هو ربهم, وأولئك أرباب السفلة.[3]

وأما الملأ من قومه فقد تلقوا هذا الزعم المفترى بالإقرار والتسليم وقد اعتمد فرعون على الأساطير التي كانت سائدة في مصر من نسب الملوك للآلهة ثم على القهر الذي لا يدع لرأس أن يفكر, ولا لسان أن يعبر وهم يرونه بشرا مثلهم يحي ويميت لكنه يقول لهم هذه الكلمة فيسمعونها دون اعتراض أو تعقيب.[4]

كما هدد فرعون موسى من أن يتخذ إله غيره, وتوعده بالسجن وما فعل ذلك إلا حفاظا على سلطانه من الزوال. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[5].

---

[1] -أحمد مصطفى المراغي, **تفسير المراغي** ج7 (ط: 3, بيروت, لبنان– دار الفكر – 1394هـ -1984م) ص60

[2] –سورة النازعات: 23 – 24

[3] –محمد القرطبي, **الجامع لأحكام القرآن** ج19 (ط: 2, القاهرة – المكتبة الأزهرية– د:ت) ص202

[4] -سيد قطب, **في ظلال القرآن**, ج5 (ط: 15, القاهرة – دار الشروق – 1408هـ – 1988م) ص2694

[5] –سورة الشعراء: 29

ولكن دون شعور منه فإن الله ﷻ له بالمرصاد وأنه ﷻ إن أمهله فلن يهمله أنه حين ما تنتهي فترة الإمهال فإنه سيأخذه أخذ عزيز مقتدر.

المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية

تعتبر الأسباب الاجتماعية من ظلم واضطهاد وتشريد وقتل وغيرها سببا آخر دافع لإنزال العقاب بفرعون وقومه, فهي عبارة عن عامل مكمل للأسباب الدينية, وسنتطرق إليها في هذا المطلب مركزين على سببين اثنين, وهما الاضطهاد والاستعباد.

أولا: الاضطهاد

كان اضطهاد فرعون قاسيا, لأنه كان ظالما باغيا وقد كان ظلمه عظيما بادعائه أنه الرب الأعلى, وقد تجلى هذا الاضطهاد في تقتيل أبناء بني إسرائيل واستحياء نسائهم, فهو لا يريد أن يقتلهم جميعا ولكن يريد أن يقتل العزة والكرامة والرجولة فيهم.[1]

والمتتبع للآيات القرآنية يجدها حافلة بالحديث عن هذا الفعل الشنيع والمشين, قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[2]

ويقول تعالى أيضا ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾[3]

---

[1] -صلاح عبد الفتاح الخالدي, **الشخصية اليهودي من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير** ط:1, الجزائر – دار الشهاب – 1407هـ-1987م) ص66

[2] -سورة ابراهيم: 06

[3] -سورة الأعراف: 141

إن قتل الأبرياء عند الظلمة الطغاة لا يعني شيئا في سبيل إرضاء ضمائرهم الخبيثة فالقتل لدى هؤلاء يقتل ضمائرهم اللوامة, فيصبح الواحد منهم متعطشا للقتل يروي به نفسهالأمارة كلما سنحت له الفرصة بذلك.[1]

وقد علق محمد رشيد رضا على قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾[2], بقوله " أي قال مجيبا للملأ سنقتل أبناء قومه تقتيلا ما تناسلو, فتعبيره بالتقتيل يدل على التكثير والتحريج ونستبقي نساءهم أحياء كما كنا نفعل من قبل ولادته حتى ينقرضوا.[3]

ثانيا: الاستعباد

فقد أذل فرعون بني إسرائيل واستعبدهم ونكل بهم واستعملهم في الأعمال الشاقة, قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾[4], والمقصود بشيعا أي جعلهم فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد, أو يشع بعضهم في طاعته, أو أصنافا في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه, من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة, ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم.[5]

ويقول ابن كثير معلقا على الآية السالفة الذكر: وجعل أهلها شيعا أي قسم رعيته إلى أقسام وفرقهم إلى طوائف, يستضعف طائفة منهم وهم بني إسرائيل الذين هم من سلالة نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.[6]

ثالثا: نكث العهود

فنكث العهود هو ديدن فرعون والمستكبرين, فقد كان فرعون في كل مرة

---

[1] عبد الهادي بن سعد السامراتي (مرجع سابق) ص403

[2] سورة الأعراف: 127

[3] محمد رشيد رضا, تفسير المنار, مج9(مرجع سابق) ص79

[4] سورة القصص: 04

[5] أبو سعود محمد العمادي,**تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**, (ط:2, بيروت, لبنان – دار إحياء التراث العربي -1411هـ - 1990م) ص2.

[6] اسماعيل بن كثير, قصص الأنبياء (مرجع سابق) ص259

عند وقع العذاب عليهم يشتكون لموسى ويعيدونه بالتوبة وعند رفع البلاء عنهم يعودون إلى غيهم, قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [1], والمعنى لما نزل العذاب الشديد بجماعة فرعون اضطربوا واشتد فزعهم وطلبوا من موسى عليه السلام أن يدعوا ربه بسبب ما عهد عنده من النبوة والرسالة أن يكشف عنهم ما نزل بهم, وأقسموا له لئن كشفت عنا ذلك العذاب لنصدقن برسالتك ونؤمن بما بما جئت به من عند ربك ولنرسلن بني إسرائيل إلى أرض الميعاد فلسطين كما طلبت منا ليعبدوا ربهم كما شاؤا.[2]

فلما رفع عنهم البلاء, إذا هم بنقضون العهد ويحنثون في كل مرة يعدون موسى بإمان به ثم إذا كشف عنهم العذاب والبأس نكثوا في عهودهم واستمروا على تكذيبهم, واستكبروا وأجرموا وكذبوا بآيات الله وأعرضوا عنها, فكانوا جديرين باستئصال وعدم الإهمال.[3]

[1] سورة الأعراف: 135

[2] وهبة الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, ج9 (ط: 1, بيروت, لبنان– دار الفكر –1411هـ - 1991م) ص108.

[3] عبد الهادي السمراتي, (مرجع سابق) ص470.

المبحث الثالث: مقارنة من حيث الأسباب

فسنعرض في هذا المبحث مقارنات بين ما جاء في التوراة والقرآن الكريم وهو مكون من مطلبين الأول أوجه التقارب وقد اقتصرنا على سببين وهما " الاضطهاد, نكث العهود" والمطلب الثاني أوجه الاختلاف فقد ذكرنا فيه مجموعة من الاختلافات بين ما ورد في المصدرين.

المطلب الأول: أوجه التقارب

الاضطهاد:

إن المستقرئ لما ورد في التوراة والقرآن الكريم يجد بأن كليهما طريقة تعامل فرعون مع قوم موسى, وذالك باستعبادهم وظلمهم وقتل أبنائهم, فكلا المصدرين يؤكدان حصول هذا الفعل المشين والشنيع في غابر الزمان مما يدل على أنه حقيقة تاريخية ثابتة.

ومما يدل على أن فرعون كان يضطهد بني إسرائيل وهذا بشهادة متفق عليها فكلا المصدرين ففي سفر الخروج دليل على هذا" فأكلوا أمرهم إلى المسخرين يرهقونهم بالأثقال....ولكنهم كانوا كلما أرهقوهم يتكاثرون وينتشرون حتى تخوف المصريون منهم, فأخذوا يستعبدونهم بعنف فنغصوا حياتهم بأشغال شاقة بالطين واللبن وسائر الأشغال في الحقول, وكانوا في هذا كله يستخدمونهم من دون رحمة[1]."، والقرآن الكريم أيضا ورد فيه ما يتحدث عن الاضطهاد والقتل, يقول تعالى ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾[2]

وإنه عند ذكرنا لهذين الرأيين الواردين في المصدرين" التوراة, القرآن الكريم", فهذا لا يعني أن القرآن الكريم كرر ما ورد ذكره في التوراة, ونحن لا نؤيد بدورنا ما ذهب إليه المستشرقين بقولهم أن القرآن الكريم مصدره يهودي, فإنه إذا اتفقت الروايتين في كلا المصدرين فإنها تتفق في خطوط العريضة فهذا لا يمنع من وجود فوارق بسيطة في ذكر التفاصيل وأما القرآن بذكر

[1] -سفر الخروج 1(14/11)

[2] -الأعراف 141

الموقف لأخذ العبرة, وقد كان الاضطهاد سبب من الأسباب التي أوجبت تسليط العقوبات على المصريين.

نكث العهد وعدم إرسال بني إسرائيل:

إن المتتبع لما ورد في التوراة والقرآن عند حديثهما عن نزول العذاب بفرعون وقومه يرى بوضوح أن كليهما تعرض إلى ما كان عليه القوم من انحطاط للأخلاق خاصة بما يتعلق بنقضهم للمواثيق ونكثهم للعهود, فقد كانوا في كل مرة يعيدون موسى عليه السلام ثم يخلفون وعدهم ويعودون إلى جهلهم.

فقد اتفق كلا المصدرين على أنهم كانوا ينكثون عهدهم ويقول في هذا"مصطفى المراغي" مبينا اشتراك المصدرين في ذكر هذا الخلق الذميم وهو إخلاف الوعد ونقضه"وقالوا حين حل نوع بهم: يا موسى ادع لنا ربك وتوسل إليه بعهده عندك ورسالته لك أن يكشف عنا هذا الرجس, ونحن نقسم لك لئن كشفته عنا لنؤمن نلك ولنرسلن معك بني إسرائيل, وفي التوراة: إن فرعون كان يقول لموسى حين نزول كل آية منها: ادع لنا ربك واشفع لنا عنده أن يرفع عنا هذه." [1] وعند رفع البلاء عنهم فهم ينقضوا عهدهم ويخلفوه.

ومن ناحية أخرى اتفق المصدران عللا أن عدم إرسال بني إسرائيل كان سببا في تسليط العقوبات عليهم التي انتهت بنهاية أليمة لفرعون وقومه, يقول خالد علي نبهان في كتاب "فرعون وموسى" "إن التوراة تزخر بالنصوص التي تدل على أن دعوة موسى عليه السلام إنما كانت تهدف إلى إخراج بني إسرائيل من مصر وإطلاق سراحهم من عبودية المصريين ويبدوا هذا واضحا خاصة قي الإصحاحات العشرة الأولى من سفر الخروج". [2] ,فقال له الرب:"نظرت إلى معاناة شعبي الذين في مصر, وسمعت صراخهم من ظلم مسخرهم وعلمت بعذابهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأخرجهم من تلك الأرض إلى أرض رحبة تدر لبنا وعسلا."[3] , وموضوع رسالة موسى إنما كان في إطلاق بني إسرائيل من عبودية فرعون وقومه, والقرآن الكريم يقرر هذا في عدة سور من ذالك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي

[1] -أحمد مصطفى المراغي: مرجع سابق مج3, ج9, ص46

[2] - -خالد علي نبهان, فرعون وموسى,(مصدر سابق),ص204-205

[3] -سفر الخروج:3(8/7)

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[1]

وقد رأينا في هذا المطلب الاتفاق الحاصل بين التوراة والقرآن الكريم وهذا من خلال استقرائنا لكل ما ورد ذكره في الفصل السابق الذي من خلاله قارنا بين ما جاء في المصدرين.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

وسيكون هذا المطلب عارضا لمجموعة الاختلافات الحاصلة بين التوراة والقرآن الكريم في عرض الأسباب الموجبة لنهاية فرعون وقومه.

فالتوراة تجعل الأسباب تتمحور حول العنصر اليهودي, وترسم له طريق الخلاص, وبهذا تبني نظرتها على الجنس الإسرائيلي وأن ضرب المصريين بتلك العقوبات وإنما كان سببه هو اضطهاد فرعون لشعب الرب المختار.

الرب لم يضرب المصريين لعدم إيمانهم بدعوة موسى بل أنهم ظلمو العبرانيين ونكلوا بهم , وأما القرآن الكريم فقد جعل الأسباب الآتية بالعقاب للمصريين هي دينية بالدرجة الأولى مبنية على التفريق بين الإيمان والكفر لا بين فاضل و مفصول, يقول وهبة الزحيلي:"وأما تفضيلا فدلت الآيات على أنه تعالى, إنما نزّل عليهم هذه المضار لأجل أن يتركوا العناد والتمرد ويرجعوا إلى الانقياد والعبودية لله لأن أحوال الشدة ترقق القلب فيما عند الله[2]

كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾[3]

وهذا يوضح الفرق الجلي بين التوراة والقرآن في عرض أسباب العقاب الإلاهي الذي أدى إلى النهاية بفرعون وقومه , وتوجد أيضا اختلافات في الأسباب بين المصدرين بحيث أن بعضها يذكر وفي مصدر آخر غير مذكور, فقد ذكر القرآن أسبابا لم تذكرها التوراة كما دعا فرعون للألوهية ففي القرآن مايشير لذالك يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ

[1] -الأعراف:104-105

[2] -وهبة الزحيلي,مصدر سابق,ج9,ص23

[3] -سورة الإسراء:67

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [1] وفي إدعائه للربوبية, قوله تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾, ولكن لا نجد في التوراة هذه الإدعاءات من فرعون, إلا ما كان من قبيل إنكاره للرب حيث قال:" من هو الرب حتى أسمع له وأطلق بني إسرائيل, لا أعرف الرب ولا أطلق بني إسرائيل".[2]

وما يمكن استخلاصه من هذا المبحث هو أنه هناك مجموعة من الاتفاقات الحاصلة بين التوراة والقرآن وهذا من حيث الأسباب التي أدت إلي نهاية فرعون ومن جهة أخرى هناك اختلافات بحيث أنه توجد أسباب ذكرت في القرآن الكريم ولم تذكر في التوراة.

[1] -سورة القصص:38

[2] -سفر الخروج:2/5

تمهيد:

سنحاول في هذا الفصل إبراز أحداث نهاية الطاغية فرعون وقومه التي ذكرت في التوراة والقرآن الكريم، وتبدأ هذه الأحداث بحادثة خروج بني إسرائيل من مصر، لتأتي بع ذلك مطاردة فرعون لهم ثم في الأخير غرق فرعون وجنده.

ولم يخل نص التوراتي ولا القرآني من ذكر العقوبات التي سلطها الله على فرعون وقومه وهي عقوبة تحويل الماء إلى دم، الضفادع، الجراد، الذباب، هلاك الماشية.... إلا أن فرعون لم يهتدي رغم كل هذه العقوبات فقد كانت الضربة القاضية ألا وهي غرقه في اليم، وذلك ما أدى بصفة غير مباشرة إلى نهاية فرعون وجنوده.

المبحث الأول: أحداث النهاية في التوراة

المطلب الأول: خروج موسى ببني إسرائيل من مصر

تذكر التوراة أن موسى وقومه خرجوا من مصر، كما ورد ذلك في سفر:" وفعل بنو إسرائيل كما قال لهم موسى، فطلبوا من المصريين مصاغ فضة و ذهب وثيابا".

وجاء فيه أيضا" وأعطى الرب الشعب حضوه عند المصريين فوهبوهم ما طلبوا وهكذا سلبوا المصريين"[1].

يقول أحمد سوسة : "إن قصة خروج موسى وجماعته من مصر، التي استرسل كتبة التوراة في شرحها في سفر الخروج من العهد القديم لم تكن خرافية كما يرى البعض، وإنما هي حادثة تاريخية حقيقة تنطوي على خروج جماعة من مصر في عهد ما، ويقول أيضا أن المصدر الوحيد هو التوراة الذي يحكي قصة الخروج ولكن البعض ينظر إلى هذه القصة مشوهة ومحرفة وهي أشبه بالأساطير الخيالية منها بالحقائق التاريخية".

يروي تاريخ اليهود أن الله أمر موسى أن يذهب إلى فرعون، يستأذنه بخروج بني إسرائيل، إلا أن فرعون رفض السماح لهم بذلك، فأنزل الله الضربة العاشرة على ملك مصر، وهي عبارة عن موت الأبكار[2].

ويذكر أيضا سفر الخروج "ولما انتصف الليل فتك الرب بكل بكر في جميع أرض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه إلى بكر الأسير الذي في السجن، وضرب جميع أبكار البهائم"[3].

فقام فرعون ليلا هو وكل عبيده وجميع المصريين وكان صراخ عظيم في مصر، لأنه لم يكن بيت ليس فيه ميت، فدعا موسى وهارون ليلا وقال: قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعا.

---

[1] – سليمان بن قاسم العيد، **موسى عليه السلام لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة دراسة مقارنة**، جامعة الملك سعود كلية التربية، ص: 28.

[2] – محمد ضياء الرحمان الاعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** ط2، المملكة العربية السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، 1424هـ،2003، ص: 82.

[3] – سفر الخروج: (29/12).

ومع تشديد الضربات التي ورد ذكرها في سفر الخروج على فرعون والمصريين، أطلق فرعون سراح بني إسرائيل خاصة عند موت كل بكر من إنسان وبهيمة في أرض مصر.

وتدل الفقرات السابقة أن موسى عليه السلام كان يرغب في اصطحاب بني إسرائيل في رحلة بخلاف القرآن الكريم، ويؤكد سفر الخروج أن فرعون وافق على مغادرة بني إسرائيل من مصر وجاء أيضا في السفر نفسه أنه قبل خروج موسى مع شعبه من مصر أخذ موسى عظام يوسف معه.[1] وكانت التوراة قد ذكرت في آخر جملة من سفر التكوين "ثم مات يوسف وهو ابن مئة وعشر سنين، فحنطوه ووضع في تابوت في مصر"[2].

وورد في سفر الخروج عند خروج بني إسرائيل من مصر، أخذوا معهم غنمهم وحملوا عجينهم قبل أن يختمر، وأخذوا أمتعة المصريين من ذهب وفضة، وارتحلوا من رعمسيس إلى سكوت،ويصعب تحديد زمن الخروج من مصر، ولكن المصادر التاريخية تشير إلى أنه قد حدث في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وتحدد بعض المصادر عام 1213 وبعضها عام 1237،[3] وقد أتاه الله بني إسرائيل في البرية 40 عاما بسبب فسقهم وعصيانهم، وتذكر التوراة أيضا أن موسى عليه السلام، أبان الخروج من مصر قد أمر بني إسرائيل بنهب جيرانهم من المصريين وسلب أمتعتهم والتحايل على ذلك: فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين، بل تطلب كل امرأة من جاراتها المصرية ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وذهب وثيابا وتضعونها على بينكم وبناتكم فتسلبون المصريين وتذكر أيضا عن موسى صراحة دون مواربة وتؤكد ذلك بأن الله قد حكم على موسى وهارون بالحرمان من دخول الأرض المقدسة الموعودة عقابا لهما على إثمهما وخيانتهما الرب وسط بني إسرائيل[4].

---

[1] – أرحام سلمان سليم العودات، **سفر الخروج في توراة اليهود عرض ونقد**، رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة غزة، 1431هـ ، 2010 ، ص: 137.

[2] – سفر التكوين: (50/ 26).

[3] – محمد علي البار، مرجع سابق، ص: 63.

[4] – محمد عبد الله الشرقاوي، **في مقاومة الأديان بحوث ودراسات** ، ط2، جامعة القاهرة، دار الجيل بيروت، 1410هـ، 1990، ص: 211.

المطلب الثاني: مطاردة فرعون لبني إسرائيل وغرقه

تصف التوراة نجاة موسى عليه السلام وقومه،وغرق فرعون وقومه بالنص ((ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقيته شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وأنشق الماء، فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم وتبعهم المصريون ودخلوا ورائهم جميع خيل فرعون ومركباتهم وفرسانهم إلى وسط البحر وكان في هزيع الصبح أن الرب أشرف على عسكر المصريين في عمود النار والسحاب وأزعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى ساقوها بثقله، فقال المصريون نهرب من إسرائيل لأن الرب يقاتل المصريين عنهم فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين على مركباتهم وفرسانهم، فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حالة الدائمة والمصريون هاربون إلى لقائه، فدفع الرب المصريين في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون [1].

وتقول التوراة وشدد قلب فرعون حتى سعى وراء بني إسرائيل، وأدركتهم جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه، وهم مارون عند البحر ورأى بنو إسرائيل الخطر الزاحف من خلفهم وهو يقترب منهم، فتملكهم الذعر والخوف وأيقنوا أنهم هالكون، وصاحوا بموسى ((ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا الكلام الذي هو هناك به في مصر، قائلين كف عنا فنخدم المصريين خير من أن نموت في البرية))، [2] ويصبح موسى في مأزق حرج فقد كانت بحيرة البوص على يمينه وحصن مجدل وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البيلوزي وخلفه فرعون وقواته الضاربة هكذا وقف موسى وقومه أمام البحر، ليس معهم سفن وما هم بمسلحين وقد قاربهم فرعون بجنوده [3].

[1] – سلمان بن قاسم العيد، مرجع سابق، ص: 29.

[2] – سفر الخروج: (14/ 8-12).

[3] – محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص: 244.

المبحث الثاني: أحداث النهاية في القرآن الكريم

بعد عدة أحداث سلط الله ﷻ على فرعون وقومه عقوبات مختلفة ذكرها القرآن الكريم والتي كانت بمثابة عقاب شديد من الله تعالى لقاء ما فعلوه ببني إسرائيل وموسى من ظلم شديد لا تتحمله الجبال لهذا أمر الله تعالى موسى وقومه بالخروج من مصر حتى يتخلصوا من الطاغية إلى الأبد، ولكن فرعون لم يتركهم بحالهم وهناك عدة سور تناولت هذا الموضوع في القرآن منها: الأعراف؛ الشعراء؛ يونس؛ طه.

المطلب الأول: خروج موسى ببني إسرائيل من مصر

أما القرآن الكريم فلا يشير إلى أسباب أتباع فرعون، غير أن سياقه يشير إلى أن موسى خرج ببني إسرائيل سرا، فأتبعه فرعون وجنوده،[1] ﱡﱠ ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ لخ لم لى لي ﱠﱡ مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني ﱠﱡ هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ﱠ [2] .وذلك بعد أن طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل، ﱡﱠ ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ لخ لم لى لي ﱠﱡ مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني ﱠﱡ هج هم هى هي [3]. فالقرآن الكريم ذكر في الكثير من السور عن قصة بني إسرائيل وخروجهم من مصر، إلا أن العلماء اختلفوا في طريق خروجهم، وهناك أدلة أخرى تقول أن القرآن الكريم لم يذكر شيئا عن زمن ومكان الخروج ولا توجد بين أيدينا أدلة يقينية نستطيع من خلالها تحديد زمن والمكان بل إن القرآن سكت عن تحديد مقدار الزمن الذي أقامه بنو إسرائيل في أرض مصر في الفترة ما بين دخولهم وخروجهم غير محددة بتواريخ دقيقة تعتمد على أدلة صحيحة ويحاول المؤرخون وعلماء الآثار تحديد هذه الفترة بالسنوات ويذهبون إلى أن موسى خرج مع بني إسرائيل من أرض مصر في القرن الثاني عشر قبل الميلاد في عهد الأسرة الحاكمة التاسعة أي أن فترة مكوثهم دامت أربع قرون ويقولوا أن

[1] – محمد ضياء الرحمان الأعظمي/ مرجع سابق، ص: 84.

[2] – طه: 77, 78.

[3] – الأعراف: 105.

موسى والإسرائيليين خرجوا من أرض مصر بأمر من الله تعالى دون تحديد زمان ومكان ذلك الخروج لعدم امتلاك أدلة تثبت من خلال تاريخ ذلك الخروج[1].

المطلب الثاني: مطاردة فرعون لبني إسرائيل

خرج موسى ومن معه ليلا من أرض مصر، مستعينين على ذلك بالسرية والكتمان، وبقى الأمر سرا حتى افتقدهم المصريون، وعلموا بخروجهم فأخبروا فرعون بذلك، فعزم على إرجاعهم صاغرين، فهو الخاسر الأول والأخير من خروجهم، فمن سيكون له بعدهم عابدا؟ ومن سيقوم على خدمته وأتباعه فهو لا يريد إعادتهم حبا لهم، وإنما رغبة في الإبقاء على مصالحه والحفاظ على هيبته، وقد أشار القرآن الكريم إلى التعبئة العامة التي قام بها فرعون في شعبه للحاق بموسى ومن معه، ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم﴾[2].

قوله تعالى : ﴿أي فأجبنا دعاءه وأوحينا إليه أن أسر بعبادي، أي بمن آمن بالله من بني إسرائيل. {لَيْلاً} أي قبل الصباح ﴾ ﴿ئر﴾ وقرأ أهل الحجاز ﴿ بوصل الألف وكذلك ابن كثير من سرى الباقون ﴾ بالقطع من أسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون وراء موسى في "البقرة والأعراف وطه والشعراء ويونس" وإغراقه وإنجاء موسى".

أمر موسى عليه السلام بالخروج ليلا. وسير الليل في الغالب إنما يكون عن خوف والخوف يكون بوجهين: إما من العدو فيتخذ الليل سترا مسدلا فهو من أستار الله تعالى وإما من خوف المشقة على الدواب والأبدان بحر أو جدب فيتخذ السرى مصلحة من ذلك. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ويدلج ومترفق ويستعجل، بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا سافرتم في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض وإذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها". وقد مضى في أول "النحل"[3]. ﴿ئم ئن ئى ئي بر بز بم﴾ وذلك أن موسى عليه السلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضرب بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلا بينهم وبين فرعون

---

[1] – نضال عباس مصدر سابق، ص: 166-167.

[2] – الدخان 23-24.

[3] – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج16، ط، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية،1423 هـ/ 2003 م، ص: 136.

فلا يصل إليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه وانه لا يخاف دركا ولا يخشى، قال ابن عباس رضي الله عنهما" واترك البحر رهوا " كهيئته وأمضه وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كهيئة يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكما قال عكرمة والربيع ابن انس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الأحبار وسماك ابن حرب وغير واحد[1].

من شأن الإسرائيليين الخارجين فوصفهم ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ غجغمفحفخفمقحقمكجكحكخكل كمجلحلخلملهمجـ [2].

ومعنى الشرذمة الطائفة المتقطعة عن الناس والتي لا يحسب لها أي حساب وقد أراد فرعون بهذا الوصف أن يشعر أتباعه أن المهمة التي تنتظرهم مهمة سهلة، ولذلك أخذ فرعون هذا القرار للحاق بهم ومطاردتهم حتى القضاء عليهم، وقد امتاز جيش فرعون بقوة تنظيمية عسكرية وسرعة حركته مما يدل على الانضباط التام في صفوفه وما هي إلا ساعات قليلة بين علم فرعون بخروج بني إسرائيل وأمره بالاستنفار العام والتعبئة الشاملة وبين لحاقه بهذا الحشد الهائل من الجنود فهاهم بني إسرائيل بقيادة موسى يخرجون تحت جنح الظلام ليلا، وها هو فرعون يتبعهم وقت شروق الشمس ولهم السرعة باللحاق ببني إسرائيل[3]. ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ يهئمئه [4].

وكانت نتيجة هذه المطاردة أن ضرب موسى البحر بعصاه، فانشق إلى نصفين فعبر بنو إسرائيل، وأغلق على فرعون وقومه والذين ساروا عبر البحر ليدركوا بني إسرائيل فأهلكوا جميعا[5].

---

[1] – ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري،ثم الدمشقي،**تفسير القرءان العظيم**،ت ح،سامي بن محمد سلامة، ج7،(ط2) لام،دار طيبة ،1424هـ. 1999، ص: 252.

[2] – الشعراء: 53–56.

[3] – نضال عباس، مصدر سابق، ص: 169.

[4] -ا لشعراء:60.

[5] – أرحام سلمان سليم العودات، مرجع سابق، ص: 142.

المطلب الثالث: غرق فرعون وجنده في اليم

ولكن بعد كشف الضر عنهم، عاد فرعون وآله إلى استكبارهم السابق ونسو ضعفهم وعجزهم، فنكثوا بعهودهم لموسى، ولكن الله تعالى العالم بكل شيء، ترصدهم وعاقبهم على جحودهم بالنعم واستكبارهم ونكثهم بالعهود ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ ئخئمئه بجبحبخبمبهتجتحتختم﴾ [1].

من فرعون وآله بإغراقهم في اليم، جاد الغرق بعد إنذارات متتالية لهم، ولكنهم لم ﷻ لقد انتقم الله يدركوا ولم يستوعبوا معانيها بوقتها، وقد أدرك فرعون سوء عمله في لحظات الإغراق فقط، فندم وقت لا ينفع الندم وأعلن إيمانه في ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ نخنم نى ني هج هم هى يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ﴾ ﴿ئرئزئمئنئىئيبر [2]. ولكن الجواب الإلهي لفرعون في ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ تنتىتي ثرثزثمثنثىثي فىفيقىقيكاكلكم﴾ [3]

كما يقول علماء السلف قبل المرض والموت وروى الترمذي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، أي تبلغ روحه حلقومه فيكون بمزلة الشيء الذي يتغرغر به [4].

ويقول ابن سعود في تفسيره: إن فرعون حين أدركه الغرق" قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل" لم يقل كمقالة السحرة "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون"، بل عبر الله عنه بالموصول وجعل صلته إيمان بني إسرائيل به وقال النسفي إن الآية دليل على أن الإيمان والإسلام واحد ككر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته، وكانت المرة الواحدة تكفي في حالة الاختيار [5].

---

[1] – الأعراف: 136.

[2] – يونس: 90.

[3] – يونس: 92.

[4] – زاهية الدجاني، مرجع سابق، ص: 101.

[5] – محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص: 260.

ويصور القرآن الكريم نجاة موسى وهلاك فرعون ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿مخ مم نج نح نخ نم نه﴾ ﴿هج هم هٰ﴾ ﴿يج يح يخ يم ٱلدِّينِ﴾[1]. يتضح من هذا السياق أيضا ثقته موسى من نصر ربه له وتأييده وخذلان أعدائه وذلك حين خشي قومه إدراك فرعون له.

وفي موضع آخر يأتي لتصوير حال فرعون عند الغرق

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم﴾ ﴿يى يي ذٰ رٰ ىٰ﴾ ﴿ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم﴾[2]. هكذا كان هلاك موسى وجنوده فإن موسى وقومه لما اكتملوا خارجين من البحر، واكتمل فرعون وقومه داخلين فيه، وهمّ أولهم بالخروج منه أمر الله القدير البحر أن يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم أحد، وجعلت الأمواج ترفعهم وتخفضهم،وتراكمت الأمواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال هو كذلك:

﴿ىٰ﴾ ﴿ئر ئز ئم ئن ئى ئي﴾ ,فآمن حيث لا ينفعه الإيمان ذلك أن الإيمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين ورماه البحر على ناحية لتحقق الناس من موته ويكون لهم آية وقد جاء في السنّة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبريل: يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسه في فيه، مخافة أن تدركه الرحمة[3].

أتؤمن من الآن في وقت الاضطرار، حيث أدركك الغرق، و يئست من نفسك، وروى الخازن في تفسير عن ابن عباس أنه قال: لم يقبل الله إيمانه عند نزول العذاب وقد كان في مهل، وقال العلماء إيمانه غير مقبول، وقيل إنه ليدفع ما نزل به من البلية الحاضرة، ولم يكن قصد به الإقرار بوحدانية الله والاعتراف له بالربوبية وقيل إن فرعون كان من الدهريين المنكرين لوجود الخالق فلهذا قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في إيمانه ولما رجع فرعون إلى الإيمان والتوبة حين أغلق بابها، إن موسى عليه السلام حين أخبر بني إسرائيل بغرق فرعون وقومه قالوا: ما مات وذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من رعب لأجله، فأمر الله البحر فألقى

---

[1] – الشعراء: 57.

[2] – يونس: 90-92.

[3] –سلمان بن قاسم العيد، مرجع سابق، ص: 28.

فرعون على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل، فمن ذلك الوقت لا يقبل البحر ميتا أبدا[1].

المبحث الثالث: المقارنة بين المصدرين حول النهاية

سنذكر في هذا المبحث المقارنة في الأحداث بين ما ورد في القرآن الكريم والتوراة، مقتصرين على ما وجد فيه من الاختلاف والتقارب بين القرآن والتوراة.

المطلب الأول: أوجه التقارب

[1] – محمد بيومي مهران، مرجع سابق، ص: 261.

اتفق المصدران على قصة الخروج حيث ذكر في القرآن الكريم ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي﴾[1]. وأما التوراة فقد ذكرت في سفر الخروج رحيل بني إسرائيل:" **ورحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت** "[2].

نلاحظ أن القرآن الكريم عن قوله فأرسل معي بني إسرائيل يقصد بها خروج موسى عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل خروجا من مصر وأيضا لذكر التوراة هذا القول قصد به رحيل بني إسرائيل من مصر ويتفق المصدران على غرق فرعون وجنوده إثر لحاقهم ومطاردتهم لبني إسرائيل، فالتوراة كما القرآن تثبت هذه الحقيقة من حيث حدوثها، بالفعل ففي التوراة نقرأ في سفر الخروج فلما سمع فرعون ملك مصر بأن بني إسرائيل هربوا فانقلب رأيه ورأي رجاله عليهم وقالوا: ماذا عملنا فأطلقنا بني إسرائيل من خدمتنا فشد فرعون مركبته وأخذ جيشه معه، واختار ستة مئة مركبة من مركباته وأخذ معها جميع مركبات مصر وعليها قادتها، وقسَّ الرب قلب فرعون ملك مصر حتى تبع بني إسرائيل وهم خارجون بقوة عظيمة[3] .

ففي القرآن نقرأ قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿يه ئم ئه﴾[4]. كما صورت لنا التوراة ذلك المشهد العظيم من نجاة بني إسرائيل وغرق فرعون وقومه.

وكذلك في القرآن الكريم ورد لنا العديد من السور هذا القول نذكر في سورة طه 77-79 وفي سورة الشعراء 61-66 .

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

اختلف المصدران التوراة والقرآن الكريم في قصة خروج بني إسرائيل؛ فالتوراة تقول إن الانطلاق كان بموافقة فرعون: " فاستدعى فرعون موسى وهارون في الليل وقال لهما: قوما اخرجا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا اعبدوا الرب كما قلتم، وغنمكم وبقركم خذوها أيضا ولا تبقوا عندي،

[1] - الأعراف: 105.

[2] - سفر الخروج: (12-37/13).

[3] - سفر الخروج: (5/14-8).

[4] - الشعراء: 60.

واستعجل المصريون ببني إسرائيل، على الرحيل عن أرضهم وقالوا: لئلا نموت كلنا "[1]، والقرآن يبين أن الانطلاق كان بوحي من الله إلى موسى ودون رضا وإذن فرعون، ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى﴾[2].

لذلك استنفر فرعون الناس لقتالهم، يقول خالد علي نبهان مؤكدا أمر الخروج موضحا الفرق بين التوراة والقرآن في سببه: " وأيا كان الأمر فإن نصوص التوراة تشير إلى أن الخروج إنما قد تم بأمر فرعون وموافقته بل إنها تشير صراحة إلى أن بني إسرائيل قد أكرهوا على الخروج من مصر، أو على الأقل فإنهم لم يكونوا جميعا راضين عن الخروج، إذ وافق عليه فريق وأنكره آخرون إلا أن الغلبة إنما كانت للأولين على الآخرين بل إن هناك نصوصا توراتية تقرر أن بني إسرائيل إنما كانوا يعارضون فكرة الخروج من مصر منذ أن عرضها عليهم موسى عليه السلام، بادئ ذي بدء، وأنهم حين خرجوا منها سواء أكان ذلك بأمر فرعون أو بتحريض من موسى، فقد كانوا لذلك من الكارهين.

على أن آيات الذكر الحكيم إنما تقرر أن الخروج من مصر إنما كان بوحي من الله إلى موسى ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿صم صخ صح سج سح سخ سم طح ظم عج عم﴾[3].و ﴿ٱهۡدِنَاٱلصِّرَٰطَ﴾ ﴿ئر ئز﴾[4]. وهذا كله يفيد أن الخروج كان بأمر من الله لموسى أن يسري بعباده وأن يرحل بهم ليلا ونبأه أن فرعون سيتبعهم بجنده.

[1] - سفر الخروج: 12/ 31-33.

[2] - طه: 77.

[3] - الشعراء: 52.

[4] - الدخان: 23.

تمهيد:

سنتناول في هذا الفصل الحديث عن الأثر الذي خلفته النّهاية الأليمة لفرعون الطّاغية وجنوده، تطرّقنا في المبحث الأول أثر النّهاية في التّوراة؛ تحدثنا فيه عن التّيه وعبادة العجل لدى بني إسرائيل وآخر أوردنا فيه أثر النهاية في القرآن الكريم تطرقنا أيضا فيه إلى التّيه وعبادة العجل وبقرة بني إسرائيل، والمبحث الثالث والأخير لهذا الفصل ذكرنا فيه أوجه الاختلاف وأوجه التشابه بين المصدرين أي المقارنة بينهما.

المبحث الأول: أثر النهاية في التوراة

سنتناول في هذا المبحث حالة بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنوده، وأثر نهايته عليهم وعلى نفسيتهم والأحداث التي مَرُّوا بها معتمدين على ما هو مذكور في الكتاب المقدَّس وما هو من معتقدات أهل الكتاب.

عند أهل الكتاب: إن بني إسرائيل لما أمروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر أول سنتهم، وأمروا أن يذبح أهل كل بيت حملا من الغنم، فان كانوا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك وجاره فيه فإذا ذبحوه فلينضحوا بدمه على أعتاب أبوابه ليكون علامة لهم على بيوتهم، ولا يأكلونه مطبوخا ولكن مشويا كما هو مذكور في الكتاب المقدَّس: "اذهب واجمع شيوخ بني إسرائيل وقل لهم الربّ إله أبائكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ظهر لي قائلا إني قد افتقدتكم وما صن ع بكم في مصر فقلت أصعدكم في مذلة مصر إلى أرض الكنعانيين والحيثيين والأموريِّين والفريزيِّين واليوسيِّين إلى أرض تفيض لبنا وعسلا، فإذا سمعوا بقولك تدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل إلى ملك مصر وتقولون له الربّ إله العبرانيين التقانا فالآن نمضي سفر ثلاثة أيام في البرية فنذبح للربّ إلهنا، ولكني أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تمضون ولا بيد قوية فأمد يديَّ وأضرب مصر بكل عجائبي التي أصنع فيها وبعد ذلك يطلقونكم واعصي نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين فيكون حينما تمضون إنكم لا تمضون فارغين، بل نطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا تضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين"[1].

ولما خرجوا من مصر وأخرجوا معهم التابوت لموسى عليه السلام وخرجوا على طريق بحر يوسف وكانوا في النهار يسيرون والسحاب بين أيديهم يسير أمامهم فيه عمود نور، والليل أمامهم عمود نار، فانتهى بهم الطريق إلى ساحل البحر فنزلوا هنالك، وأدركهم فرعون وجنوده من المصريين وهم هناك حلول على شاطئ اليم، فقلق كثير من بني إسرائيل، حتى قال قائلهم: "كان بقائنا بمصر

[1] - سفر الخروج، 3(20/16).

أحب إلينا من الموت بهذه البرية" فقال موسى عليه السلام لمن قال هذه المقالة: "لا تخشوا فإن فرعون وجنوده يرجعون إلى بلدهم بعد هذا"، لما أغرق الله فرعون وجنوده حين إذ سبح موسى وبني إسرائيل بهذا التسبيح للربّ، وقال: " أنشد للرّب جلّ جلاله، الخيل وفرسانها رماهم في البحر"[1]؛ وهو تسبيح طويل، وأخذت مريم أخت هارون دفا بيدها، وخرج النساء في أثرها كلهن بدفوف وطبول، وجعلت مريم ترتِّل لهنَّ وتقول:"أنشدوا للرّب جلَّ جلاله،الخيل وفرسانها رماهم في البحر"[2].

وأن موسى عليه السّلام، لما انفصل من بلاد مصر فواجه بيت المقدس ووجد فيها قوما من الجبارين، من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم، فأمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم ومقاتلتهم، وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس،فان الله كتب لهم، ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجلي، فأبوا ونكلوا عن الجهاد، فسلط الله عليهم الخوف، وألقاهم في التيه.

المطلب الأول: التِّيه

بعدما خرج بنو إسرائيل من مصر إلى البرية لم يرضوا عن موسى وهارون وتذمروا من كل شيء وقالوا لموسى لماذا أخرجتنا من مصر إلى البرية والمجاعة؟، وطلبوا منهم أن يقول للرب ذلك وقال لهما:" ليتنا متنا بيد الرب في ارض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشَّبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا الفقر لتميتا كل هذا الجمهور بالجوع"[3].

فتكلم موسى إلى الرب فأنزل عليهم خبزا وطعاما، وقال موسى:" هذا هو الشيء الذي أمر به الرب ملء العمر منه يكون للحفظ في أجيالكم لكي يروا الخبز الذي أطعمتكم في البرية حين أخرجتكم من أرض مصر، وقال موسى لهارون خذ قسطا واحدا واجعل فيه ملء العمر منا وضعه أمام الرَّب

[1] - سفر الخروج، 15(1).
[2] - سفر الخروج،15(21).
[3] - سفر الخروج، 16(3).

للحفظ في أجيالكم،كما أمر الربّ موسى وضعه هارون أمام الشهادة للحفظ، وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة حتى جاؤوا إلى ارض عامرة، أكلوا المنَّ حتى جاؤوا إلى طرف أرض كنعان"[1].

وعند أهل الكتاب: أن يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفَّار، وأن موسى وهارون وخور جلسوا على رأس أكمة، ورفع موسى عصاه، فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم، وكلما مالت يده بها من تعب أو نحوه غلبهم أولئك، وجعل هارون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله ذلك اليوم إلى غروب الشمس، فانتصر حزب يوشع عليه السلام.

ثم جعل موسى على النَّاس رجالا أمناء أتقياء أعفَّاء، يبغضون الرّشاء والخيانة، فيجعلهم على النَّاس رؤوس ألوف، ورؤوس مئين، ورؤوس خمسين، ورؤوس عشرة، فيقضوا بين النَّاس، فإذا أشكل عليهم أمر جاءوه ففصل بينهم ما أشكل عليهم. ودخل بنو إسرائيل البرية عند سيناء، في الشهر الثالث من خروجهم من مصر، وكان خروجهم في أوَّل السَّنة التي شرعت لهم، وهي أوَّل فصل الرَّبيع فكأنَّهم دخلوا في التيه في أول الصيف.

ونزل بنو إسرائيل حول طور سيناء، وصعد موسى الجبل فكلَّمه ربُّه، وأمره أن يذكر بني إسرائيل ما أنعم به عليهم، من إنجائه إياهم من فرعون وقومه، وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده وقبضته وأمره أن يأمر بني إسرائيل بأن يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدُّوا إلى اليوم الثالث فإذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل، ولا يقتربن أحد منهم إليهم، فمن دنا منه قُتل، ماداموا يسمعون صوت القرن فإذا سكن القرن فقد حلَّ لكم أن ترتقوه فسمع بنو إسرائيل ذلك وأطاعوا واغتسلوا وتنظفوا وتطيبوا.

فلمَّا كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة، وفيها أصوات وبروق وصوت الصُّور الشَّديد جدًّا، ففزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدا، وخرجوا فقاموا في سفح الجبل وغشي الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور زلزل الجبل كلُّه زلزلة شديدة، واستمرَّ صوت الصُّور واشتد، وموسى عليه

[1]- سفر الخروج، 16(36/32).

السَّلام فوق الجبل، واللَّه يكلِّمه ويناجيه، وأمر الرَّب عزَّ وجل موسى أن ينزل، فيأمر بني إسرائيل أن يقتربوا من الجبل ليسمعوا وصيَّة اللَّه، وأمر الأحبار؛ وهم علماؤهم أن يدنوا فيصعدوا الجبل ليتقدَّموا بالقرب منه، فقال موسى: يارب إنَّهم لا يستطيعون أن يصعدوا وقد نهيتهم عن ذلك فأمره الله تعالى أن يذهب فيأتي معه بأخيه هارون وليكن الكهنة؛ وهم العلماء، والشعب؛ وهم بقية إسرائيل غير بعيد، ففعل موسى وكلمه ربُّه عز وجلن فأمره حينئذ بالكلمات العشر، وعندهم أنَّ بني إسرائيل سمعوا كلام اللَّه، ولكن لم يفهموه حتى أفهمهم موسى، وجعلوا يقولون لموسى:" بلغنا أنت الرَّب عز وجل، فإنَّا نخاف أن نموت" ، فبلَّغهم عنه فقال الكلمات العشر وهي:" الأمر بعبادة اللَّه وحده لا شريك له، والنَّهي عن الحلف باللَّه كاذباً، والأمر بالمحافظة على يوم السَّبت؛ ومعناه تَّفرُّغ يوم من الأسبوع للعبادة، وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي نسخ اللَّه به السَّبت، أكرم أباك وأمك ليطول عمرك في الأرض،الذي يعطيك اللَّه ربُّك لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد على صاحبك شهادة زور، لا تمدَّ عينيك إلى بيت صاحبك، ولا تشته امرأة صاحبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئاً من الذي لِصاحبك؛ ومعناه النَّهي عن الحسد.

وذكروا بعد العشر كلمات وصايا وأحكاما متفرقة عزيزة، كانت فزالت، وعمل بها حيناً من الدَّهر ثمَّ طرأ عليها عصيانٌ من المكلفين بها، ثمَّ عمدوا إليها فبدَّلوها وحرَّفوها ثمَّ بعد ذلك كلِّه سلبوها فصارت منسوخة مبدَّلة، بعدما كانت مشروعة مكمِّلة[1].

ومن بين الأحداث التّي جرت على بني إسرائيل في البرِّية أنَّ الرّب طلب منهم أن يصنعوا معبداً كما ذكر في الكتاب المقدَّس:" هناك أجتمع ببني إسرائيل فيقدَّس المكان بمجدي، وأقدِّس خيمة

[1] -أحمد قواسمة، زيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السَّماوية الثلاثة ج2،(ط:1،دار الرّاية،دار الحامد1430هـ-2009م)، ص402.

الاجتماع، والمذبح وهرون وبنيه ليكونوا كهنةً لي، وأسكن في وسط بني إسرائيل وأكون لهم إلهاً، فيعلمون أني أنا الرَّب إلههم الذي أخرجهم من ارض مصر ليسكن فيما بينهم، أنا الرَّب إلههم"[1].

المطلب الثاني: عبادة العجل

لما أطال موسى المكوث في الجبل، انزعج الشَّعب وقالوا لهارون أن يصنع لهم آلهةً يعبدونها لأنَّ موسى تأخَّر عليهم، فقال لهم هارون أن ينزعوا أقراط الذَّهب التّي في آذانهم، وصوَّر بذلك الذَّهب عجلاً، كما هو مذكورٌ في الكتاب المقدَّس:" فقال لهم هرون انزعوا حلق الذَّهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وجيئوني بها، فنزع جميع الشَّعب حلق الذَّهب التِّي في آذان نسائهم وجاءوا بها إلى هرون فأخذها من أيديهم وأذابها وسكبها في صنم على صورة عجل، فقال الشَّعب: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التِّي أخرجتكم من أرض مصر"[2].

وغضب الرَّب منهم وقال لموسى اتركني أفنيهم وأصيِّرك شعبا عظيماً لكن موسى توسَّل للرّب أن يرأف بهم كي لا يشمت أهل مصر بذلك وذكَّره بأنَّه أخرجهم من مصر بقوَّة شديدة، فندم الرّب على الشّر الذي كان سيفعله بعباده، فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشَّهادة في يده؛ وهو مكتوب بكتابة اللّه، فلمَّا وصل موسى وأبصر الرَّقص والهتاف حول العجل حمي وغضب وطرح اللَّوحين من يده فكسرهما في أسفل الجبل، وأحرق العجل بالنَّار وطحنه حتَّى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقي بني إسرائيل منه، وغضب موسى على هارون ولكنَّ هارون برَّأ نفسه وقال هم من طلبوا منِّي أن أصنع لهم آلهة تسير أمامهم، وطلب موسى من الشَعب من مع اللَّه أن يأتيه، فتقدَّموا بني لاوي وطلب منهم أن يقتلوا البقيَّة وضرب الرَّب الشَّعب، لأنَّهم صنعوا العجل الذي صنعه هارون، وبعد ذلك طلب الرَّب من موسى أن يعيد صناعة الألواح ويصعد بها إلى الجبل، وصعد وأعاد عليه كتابتها ووصَّاه بالوصايا وطلب منه أن يصنع خيمة الاجتماع والمذبح.

[1]- سفر الخروج، 30/29(46/43).

[2]- سفر الخروج، 32(4/2)

المبحث الثاني: أثر نهاية فرعون في القرآن الكريم

أسدل السّتار على طغيان فرعون، بعد أن لفظت الأمواج جثّته إلى الشّاطئ ومات من كان معه، لكنَّ نفسيَّة بني إسرائيل الذّليلة رغم موت فرعون فقد ظلّ أثره باقياً في نفوس بني إسرائيل، فمن الصَّعب على سنوات القهر الطَّويلة والذُّل المكثَّف أن تمرّ على نفوس النَّاس مرّ الكرام، فقد عوَّدهم على الذُّل لغير اللّه، هزم أرواحهم وأفسد فطرتهم فعذَّبوا موسى بالعناد والجهل.

كانت معجزة شقِّ البحر لم تزل طريَّة في أذهانهم، حين مرُّوا على قومٍ يعبدون الأصنام، وبدلاً من أن يُظهروا استيائهم لهذا الظُّلم للعقل، ويحمدوا اللّه أن هداهم للإيمان، بدلاً من ذلك طلبوا من موسى أن يجعل لهم آلهة يعبدونها مثلهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ئى ی ی ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضخ ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى﴾[1]. كما يذكر اللّه تعالى ما كان أمر فرعون وجنوده في غرقهم، وكيف سلبهم عزَّهم ومالهم وأنفسهم، وأورث بني إسرائيل جميع أموالهم وأملاكهم كما قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾[2] .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾[3]، واستلفتهم موسى إلى جهلهم هذا، وبيَّن لهم أن عمل هؤلاء باطل، وأنَّ اللّه فضَّل بني إسرائيل على العالمين فكيف يجحد هذا التفضيل ويجعل لهم صنماً يعبدونه من دون اللّه، ثمَّ ذكّرهم بفرعون وعذابه لهم، وكيف أنَّ اللّه نجاهم منه، فكيف بعد ذلك يشركون باللّه ما لا ينفع ولا يضر، فلمَّا أبوا ونكلوا فسلّط اللّه عليهم الخوف، وألقاهم في التّيه يسيرون ويحلُّون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون في مدَّة من السّنين الطويلة.

المطلب الأول: التّيه

---

[1] - الأعراف: 136-141.

[2] - الشعراء: 59.

[3] - القصص: 5.

[2] - المائدة: 20-26.

إنَّ اللّه تعالى عاقبهم بالتّيه، وحكم بأنَّهم لا يخرجون منه إلى أربعين سنة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كيلمملى لي ما ممنر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم ﴾[2].

والمقصود أنّ موسى عليه السَلام، لما انفصل من بلاد مصر وواجه بيت المقدس وجد فيها قوماً من الجبَّارين، والحيثانيّين، والفزّاريِّين، والكنعانيّين وغيرهم، فأمرهم موسى عليه السَّلام بالدُّخول عليهم ومقاتلتهم وإجلائهم إياهم عن بيت المقدس، فإنّ اللّه كتبه لهم، ووعدهم إيَّاه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجلي، فأبوا ونكلوا عن الجهاد.

المطلب الثاني: عبادة العجل

انتهى ميقات موسى مع ربِّه تعالى، وعاد غضبان أسفاً على قومه، فلقد أخبره اللّه أنّ قومه قد ضلُّوا من بعده، وأنّ رجلاً من بني إسرائيل يدعى السّامري هو من أضلّهم، انحدر موسى من قمَّة الجبل وهو يحمل ألواح التّوراة، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل فألقاها، وتفصيل هذه الفتنة هي أنّ بني إسرائيل حين خرجوا من مصر، صحبوا معهم كثيراً من حليِّ المصريِّين وذهبهم، حيث كانت نساء بني إسرائيل قد استعرنه للتّزيّن به، وعندما أمروا بالخروج حملوه معهم، ثمَّ قذفوها لأنّها حرام، فأخذها السّامري وصنع منها تمثالا لعجل، وكان السّامري فيما يبدوا نحّاتا محترفا أو صائغا سابقا، فصنع العجل مجوَّفا من الداخل، ووضعه في اتجاه الرّيح ،بحيث يدخل الهواء من فتحته الخلفية و يخرج من أنفه فيحدث صوتا يشبه صوت العجول الحقيقية[1].

بعد ذلك خرج عليهم السَّامري وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فقالوا:" لكنّ موسى ذهب لميقات ربِّه، قال السّامري؛ لقد نسي موسى وذهب للقاء ربِّه هناك، بينما ربُّه هنا، وعبد بنو إسرائيل هذا العجل، وفوجئ هارون عليه السلام يوماً بأن بني إسرائيل يعبدون عجلاً من الذّهب، فانقسموا إلى قسمين: الأولية المؤمنة أدركت أن هذا هراء والأغلبية الكافرة طاوعت حنينها لعبادة الأوثان،

[1]- أحمد قواسمة، زيد موسى ابوزيد، موسوعة الفرق في الأديان السّماويّة الثلاثة، مرجع سابق، ص:404.

وأخذ هارون يعظهم وقال لهم:" إنّكم فُتنتم به، هذه فتنة، استغل السامري جهلكم وفتنكم بعجله، ليس هذا ربُّكم، ورفض عبدة العجل موعظة هارون، لكنّ هارون عليه السّلام عاد يعظهم ويذكّرهم بمعجزات اللّه التّي أنقذهم بها، فأصمُّوا ولم يطيعوه ولم يتّبعوه.

ولما رجع موسى عليه السّلام إليهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل، ومعه الألواح المتضمنة للتوراة، ألقاها ويقال إنّه كسرها وهكذا هو عند أهل الكتاب، وان الله بدله غيرها، وليس في اللّفظ القرآني ما يدلّ على ذلك، إلا أنه ألقاها حين عاين ما عاين، وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن حبان عن ابن عبّاس قال:" قال رسول اللهﷺ الخبر كالمعاينة"[1]، ثم أقبل عليهم فعنّفهم ووبّخهم و زجرهم عن صنيعهم هذا القبيح فاعتذروا إليه بما ليس بصحيح، قالوا بأنّهم تحرّجوا من تملُّك حليّ آل فرعون وهم أهل حرب، وقد أمرهم الله بأخذه وأباحه لهم، ولم يتحرّجوا بجهلهم وقلّة علمهم وعقلهم من عبادة العجل الجسد الذي له خوار، ثمّ أقبل على أخيه هارون عليه السّلام قائلا له:"يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ظلّوا ألا تتّبعن"، أي هلاّ لما رأيت ما صنعوا اتبعتني فأعلمني بما فعلوا فقال:" إنّي خشيت أن تقول فرّقت بين بني إسرائيل"، أي تركتهم وجئتني أنت قد استخلفتني فيهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم﴾[2].

ثم ذهب موسى إلى السَّامري وأقبل عليه وسأله لماذا فعل هذا؟، فقال له أنه أخذ من أثر قدم جبريل وهو راكب الفرس، لأنّه كلّما وطأت قدماه أو حوافره مكان إلاّ اخضرّ وأعشب وألقاها في العجل المصنوع من الذّهب فأصبح له خُوار، وعوقب السّامري بأن لا يمسَّ أحدا، وعذاباً في الآخرة، فحرق موسى هذا العجل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم﴾[3].

ولم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ﴾[4]، فيقال أنّهم أصبحوا يوما وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السّيوف وألقى الله عليهم ضبابا حتى لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه، ثمّ مالوا على

[1] – الجامع الصغير(7874)، المقاصد(7575)، وتمييز الطيب(1149)، والكشف(2137)، الدّرر(349)، تحقيق الشّيخ خليل الميس.

[2] – الأعراف: 151.

[3] – الأعراف: 152.

[4] – البقرة: 54.

عابدي العجل فقتلوهم و حصدوهم، فيقال إنّهم قُتلوا في صبيحةٍ واحدة سبعون ألفاً، قَالَ تَعَالَى: ٌّ ئخ ئمئه بجبحبخ بمبه تجتحتخ تمته ثم جحجم حجَّ[1].

وطلب موسى من ربّه أن يغفر لهم، فغفر الله لهم بشرط أن يدخلوا الأرض المقدسة، وقد

قَالَ تَعَالَى: ٌّ حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يى يي ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ىَّ[2].

المطلب الثالث: بقرة بني إسرائيل

مكث موسى في قومه يدعوهم إلى الله، ويبدو أنّ نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة، وتبدو لحاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصّة البقرة، فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين موسى، كما أنه لم يكن يستوجب كل هذا التّعنت، وأصل قصَّة البقرة أن قتيلاً ثريّا وجد يوماً في بني إسرائيل، واختصم أصله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجئوا لموسى ليلجأ لربّه، ولجأ موسى لربّه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة، وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أوّل بقرة تصادفهم، غير أنّهم بدئوا مفاوضتهم باللّجاجة، واتهموا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزواً، واستعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين ويسخر منهم، أفهمهم أن حل القضيّة يكمن في ذبح

بقرة، قَالَ تَعَالَى: ٌّ ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يى يي ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لىَّ[2]

وقال ابن عباس وعبيدة السلماني وأبو العالية ومجاهد والسّدي، غير واحد من السّلف: كان رجل في بني إسرائيل كثير المال، وكان شيخاً كبيراً، وله بنو أخ، وكانوا يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في اللّيل وطرحه في مجمّع الطرق، ويقال على باب رجل منهم، فلمّا أصبح النّاس

[1] – الاعراف: 154.

[2] – الاعراف: 155–157.

[2] – البقرة: 67–73.

اختصموا فيه، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلّم، فقالوا:" مالكم تختصمون ولا تأتون إلى نبي الله؟ فجاء ابن أخيه فشكا أمر عمه إلى رسول الله موسى عليه السّلام فقال موسى:" أنشد الله رجلاً عنده علم من أمر هذا القتيل إلا علمناه به"، فلم يكن عند أحد منهم علم وسألوه أن يسأل هذه القضيّة ربّه جلّ جلاله فسأل ربّه جلّ جلاله في ذلك، فأمره الله أن يأمرهم بذبح بقرة[1].

إنَ الأمر هنا أمر معجزة، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة، أو المعتاد بين النّاس، وليست هناك علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت، لكن متى كانت الأسباب المنطقيّة هي التي تحكم حياة بني إسرائيل؟ إن المعجزات الخارقة هي القانون السّائد في حياتهم، وليس استمرارها في حادث البقرة أمراً يوحى بالعجب أو يثير الدّهشة.

ولكن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل، ومجرّد التعامل معهم عنت، تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة، وشؤون العقيدة المهمّة، لابدّ أن يعاني من يتصدّى لأمر من بني إسرائيل، وهكذا يعاني موسى من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثمّ ينبئهم أنه جادٌّ فيما يحدثهم به، ويعاود أمره أن يذبحوا بقرة، وتعود الطّبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظّهور، تعود اللّجاجة والالتواء، فيتساءلون:" أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان؟، أم أنّها خلق تفرّد بمزيّة، فليدعُ موسى ربّه يبيّن لنا ما هي"

ويدعو موسى ربّه فيزداد التشديد عليهم، وتحدّد البقرة أكثر من ذي قبل، إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر غير أن المفاوضات لم تزل مستمرة، ومراوغة بني إسرائيل لم تزل هي التي تحكم مائدة المفاوضات، فيسأل موسى ربّه فيقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها، وهكذا حُدّدت البقرة، وعادوا إلى الالتواء فشدّد الله عليهم،وعادوا يسألون موسى أن يدعوا الله ليبين لهم، وحدّثهم موسى عن بقرة ليست معدّة لحرث ولا سقي، سلمت من العيوب، لا شية فيها، وهنا بدؤوا بحثهم عن بقرة بهذه الصّفات، أخيراً وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها.

[1] – احمد قواسمة،زيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السماوية الثلاثة، مرجع سابق ، ص409.

فأمرهم نبيّ الله بذبحها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هى هي يج يح يخ يم يي يى ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن﴾[1]، أي وهم يتردّدون في أمرها، ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها قيل بلحم فخذها ويقال بالعظم الذي يلي الغضروف وقيل بالبضعة التي بين الكتفين، فلمّا ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى، فقام وهو يَخشُبُ أوداجه، فسأله نبي الله موسى:من قتلك؟ قال:"قتلني ابن أخي، ثمّ عاد ميتا كما كان"[2].

قال الله لموسى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى﴾[3]، أي كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له، كذلك أمره في سائر الموتى، إذا شاء احياهم في ساعة واحدة كما قال:" قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هٰ يج يح يخ يه ئم ئه بم به تم ته ثم﴾[2] .

[1] - البقرة:71.
[2] - تفسير الطّبري، ج2،ص285
[3] - البقرة: 73.
[2] لقمان: 28.

المبحث الثالث: مقارنة من حيث الأثر

سنتناول في هذا المبحث أهم الملاحظات التي لاحظناها حول أثر النّهاية في المصدرين؛ القرآن الكريم والتّوراة ونذكر بعض نقاط التّشابه ونقاط الاختلاف.

المطلب الأول: أوجه التّقارب

*ذكرت ظاهرة شقّ البحر وعبور بني إسرائيل وموسى فيه ثمّ انطباقه على فرعون وقومه في كلتا المصدرين أي في القرآن الكريم والتوراة.

*تذمّر القوم على موسى وربّه وعدم الرّضا بالوضع الذي أصبحوا فيه بعد خروجهم إلى الصحراء.

*تعنُّت بني إسرائيل وزيغهم بقي حتَّى بعد هلاك فرعون وذلك لتأثّرهم الشّديد بالذّل وانعدام شخصيّتهم، جعلهم يعبدون الأصنام ويتأثرون بالدّيانات الأخرى، مذكور أيضا في كلا المصدرين، والدّليل لما طلبوا أن تُصنع لهم آلهة يعبدونها.

*كلا المصدرين ذكروا أنّ موسى كان في ميقاتٍ مع ربِّه، وتفاجئ بما رأى من قومه عندما وجدهم يعبدون ذلك الصنم العجل وتذمّر كثيراً منهم.

*اتَّفق كلا المصدرين في أنّ بني إسرائيل عبدوا العجل المسبوك بالذّهب وتذمَّروا من تأخّر موسى في الميقات مع ربِّه واتخذوا هذا التأخير سبباً.

المطلب الثاني: أوجه الاختلاف

*يُذكر في القرآن الكريم أنّ من صنع العجل هو السَّامري، وفي التّوراة مذكورٌ أنّ هارون هو من صنعه وليس السّامري.

*في التَّوراة ذكروا أنّ موسى لما عاد وتفاجئ بقومه يعبدون العجل رمى بالألواح فكسرها، ولكن في القرآن لم يرد أنّه كسرها بل ورد أنّه ألقاها فقط،" ولما رجع موسى عليه السَّلام إليهم، ورأى ما هم عليه من عبادة العجل، ومعه الألواح المتضمِّنة للتَّوراة، ألقاها، فيقال إنَّه كسرها وهكذا هو عند أهل الكتاب"[1]

[1] أحمد قواسمة، زيد موسى أبو زيد، موسوعة الفرق في الأديان السَّماوية الثلاثة، مرجع سابق ،ص405.

وفي ختام هذا البحث وبعد الانتهاء من دراستنا لهذا الموضوع بكل حيثياته و تفاصيله وجميع جوانبه عرضا و بيانا، يحق لنا في ختام القول تلخيص أهم المسائل و النتائج المستوحاة منه والتي نلخصها في النقاط التالية:

-سنة الله في اخذ للظالمين ممكنة الوقوع في أي زمان وكل مكان وذالك قصد الابتلاء والامتحان للمؤمنين الصادقين.

-النهاية التي حلت بفرعون وجنوده كانت عبارة عن نتيجة لكل الضربات والعقوبات التي سلطت عليهم من قبل لدن رب العالمين.

-أن الله لا يسلط العذاب على قوم فجأة وإنما بأسباب وهذا بإتفاق المصدرين(التوراة، القرءان الكريم).

-أن الكتب السماوية مصدرها واحد إذ تتحد مواضيعها وتتشابه في المعالم الكبرى مع اختلاف في الطرح, والهدف والغاية.

-ولاحظنا في دراستنا لهذا الموضوع الافتراق الجوهري بين التوراة والقرءان، فالأولى ترسي قواعد النزعة العنصرية والثاني يرسي قواعد العدل الإلاهي، ومن هنا يكون الفرد في الأولى(التوراة) مسلوب الحرية وفي الثاني(القرءان) يتمتع بالحرية الكاملة في إتباع أحد السبيلين.

-وتبينا لنا خلال هذه الدراسة لهذا الموضوع بين التوراة والقرءان بأن التوراة تعتمد في قصصها على السرد التاريخي، والقرءان يكتفي بذكر المواقف وذالك لأخذ العبرة

_كما أن الله تعالى يمهل ولايهمل وهذا ما رأيناه في كلا المصدرين ففي كل مرة يرفع العقاب عن المصريين حينما يطلبوا من موسى ذالك ويعيدوه بالتوبة، لكنهم سرعان ما يعودون لغيهم، فيصبهم الله بعذاب غير الأول وهكذا.... إلى أن استأصلهم بضربة نهائية وهي ما تمثلت في إغراق فرعون وقومه في اليم وهذا يدل على أن التمادي في الكفر سبب في هلاك الأمم والأفراد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الأيات

الأية	السورة	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذۡ قَالَ ... ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٥٤ ﴾	البقرة	54	62
﴿ وَإِذۡ قَالَ ... تَعۡقِلُونَ ٧٣ ﴾	البقرة	73 -67	64
﴿ قَالَ إِنَّهُۥ ... يَفۡعَلُونَ ٧١ ﴾	البقرة	71	65
﴿ فَقُلۡنَا ... تَعۡقِلُونَ ٧٣ ﴾	البقرة	73	65
﴿ نَزَّلَ ... وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ ﴾	البقرة	275	16
﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ... وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ ﴾	آل عمران	03	08
﴿ وَإِذۡ ... ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾	المائدة	26-20	60
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا .. ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾	المائدة	44	07
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ .. رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ ﴾	الأعراف	104	36-18
﴿ حَقِيقٌ ... بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ ﴾	الأعراف	105	48-43-36
﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ... .. قَٰهِرُونَ ١٢٧ ﴾	الأعراف	127	32
﴿ فَلَمَّا كَشَفۡنَا ... هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥ ﴾	الأعراف	135	33
﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ... عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ ﴾	الأعراف	136	46
﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ ... رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ١٤١ ﴾	الأعراف	141-136	59-34-31

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي ... أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ ﴾	الأعراف	151	62
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ .... ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ ﴾	الأعراف	152	62
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ... لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤ ﴾	الأعراف	154	63
﴿ وَٱخۡتَارَ ..... ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ ﴾	الأعراف	157-155	63
﴿ وَقَالَ ... ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ ﴾	يونس	88	17
﴿ وَجَوَزۡنَا ....لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾	يونس	92-90	46
﴿ وَإِذۡ قَالَ .... عَظِيمٌ ٦ ﴾	إبراهيم	06	31
﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ... فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ ﴾	إبراهيم	24	18
﴿ إِنَّا نَحۡنُ ... لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾	الحجر	09	14-15
﴿ إِنَّ هَٰذَا .... كَبِيرًا ٩ ﴾	الإسراء	09	14
﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ... كَفُورًا ٦٧ ﴾	الإسراء	67	36
﴿ قُل لَّوۡ.... مَدَدًا ١٠٩ ﴾	الكهف	109	13
﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ .... مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨ ﴾	طه	78-77	43
﴿ لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ... تَعۡقِلُونَ ١٠ ﴾	الأنبياء	10	14
﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ .... عَٰبِدُونَ ٤٧ ﴾	المومنون	47	27
﴿ تَبَارَكَ .... نَذِيرًا ١ ﴾	الفرقان	01	14

﴿ قَالَ لَئِنِ ... ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ ﴾	الشعراء	29	30
﴿ فَأَلۡقَىٰ .. يَأۡفِكُونَ ٤٥ ﴾	الشعراء	45	29
﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ ﴾	الشعراء	46	29
﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾	الشعراء	47	29
﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨ ﴾	الشعراء	48	29
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ .... إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ ﴾	الشعراء	52	50
﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٥٣ ﴾	الشعراء	53	45
﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦ ﴾	الشعراء	56	45
﴿ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ ﴾	الشعراء	57	46
﴿ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩ ﴾	الشعراء	59	59
﴿ فَأَتۡبَعُوهُم مُّشۡرِقِينَ ٦٠ ﴾	الشعراء	60	49-45
﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ ... ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٤ ﴾	القصص	04	32
﴿ وَنُرِيدُ ..... ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ ﴾	القصص	05	60
﴿ وَقَالَ ... ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣٨ ﴾	القصص	38	37-29
﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ ... ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٢٨ ﴾	لقمان	28	66
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا ... كَذَّابٌ ٢٤ ﴾	غافر	24-23	18

﴿ فَأَسۡرِ ..... مُّغۡرَقُونَ ٢٤ ﴾	الدخان	24-23	44
﴿ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ ﴾	الدخان	23	50
﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ ﴾	القيامة	17	11
﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤ ﴾	النازعات	24-23	30
﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ ﴾	العلق	10-09	16

فهرس الكتاب المقدس

- سفر التكوين، 50(26):" ومات يوسف وهو......"، ص:41.
- سفر الخروج، 1(14/8):" وقام ملك جديد....."، ص:23.
- سفر الخروج، 1(14/11):" فأوكلوا أمرهم....."، ص:34.
- سفر الخروج، 1(16/15):" وقال ملك مصر....."، ص:24.
- سفر الخروج، 1(19/17):" وكانت القابلتان....."، ص:24.
- سفر الخروج، 1(22):" اطرحوا في النهر....."، ص:24.
- سفر الخروج، 3(8/7):" نظرت إلى معاناة....."، ص:35.
- سفر الخروج، 3(20/16):" اذهب واجمع....."، ص:54.
- سفر الخروج، 5(2/1):" بعد ذلك دخل....."، ص:25.
- سفر الخروج، 5(2):" من هو الرّب....."، ص:37.
- سفر الخروج، 7(4/3):" ولكنّي أقسّي....."، ص:25.
- سفر الخروج، 9(15/13):" وقال الرّب....."، ص:26.
- سفر الخروج، 12(37/13):" فيكون الدّم....."، ص:48.
- سفر الخروج، 12(29):" ولما انتصف الليل....."، ص:40.
- سفر الخروج، 12(33/31):" فاستدعى فرعون....."، ص:49.
- سفر الخروج، 14(8/5):" فلمّا سمع....."، ص:49.
- سفر الخروج، 14(12/8):" وقسّى الرّب....."، ص:42.
- سفر الخروج، 15(1):" أنشد للرّب....."، ص:55.
- سفر الخروج، 15(21):" أنشدوا للرّب....."، ص:55.
- سفر الخروج، 16(3):" ليتنا متنا....."، ص:55.
- سفر الخروج، 16(36/32):" هذا ما أمر....."، ص:56.

- سفر الخروج، 30/29(46/43):" هناك اجتمع......"، ص:58.
- سفر الخروج، 32(4/2):" فقال لهم هارون....."، ص:58.
- سفر التثنية، 31(9):" وكتب موسى....."، ص:8.

1. القرآن الكريم
2. الكتاب المقدس
3. إبراهيم بن إسماعيل الأبياري, الموسوعة القرآنية (لا: ط, لا: م _ مؤسسة سجل العرب _ 1405هـ).
4. أحمد البراء الأميري, فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم (ط: 1, دمشق, سوريا _ دار القلم _ 1420هـ _ 2000م).
5. أحمد حجازي السقا, نقد التوراة_ أسفار موسى الخمسة, السامرية, العبرانية, اليونانية_ (ط:1, لا:م, مكتبة النافذة 2005م).
6. أحمد حسن القواسمة, زيد موسى أبو زيد, ط1, دار الحامد, دار الراية, 1430هـ-2009م.
7. أحمد حسن فرحات, في علوم القرآن _ عرض ونقد وتحقيق _ (ط:1, عمان الأردن _ دار عمار _ 1421هـ _ 2001م).
8. أحمد شلبي, مقارنة الأديان 1 اليهودية (ط:2, القاهرة _ مكتبة النهضة_ 1988م).
9. أحمد عبد الغفور عطار, الديانات والعقائد في مختلف الصور, ج2 (ط:1, مكة المكرمة , 1401هـ_1981م) .
10. أحمد مصطفى المراغي, تفسير المراغي (ط: 3, بيروت, لبنان – دار الفكر – 1394هـ -1984م).
11. أرحام سليمان سليم العودات, سفر الخروج في توراة اليهود عرض ونقد, درجة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة, كلية أصول الدين جامعة عزة, 1431هـ-2010م.
12. يعقوب ملطي, تفسير سفر الخروج (لا:ط, القاهرة _ دار الكتب تادرس العلمية _ د:ت)
13. تقية عبد الفتاح, الميسر في علوم القرآن (ط:3, الجزائر _ قصر الكتاب _ د:ت).

14. حسن ظاظا, الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه (ط:4, دمشق الدار الشامية _دار القلم_ 1420هـ_ 1999م).
15. خالد علي نبهان, فرعون وموسى _ دراسة تاريخية عن فرعون والفراعنة العماليق بمنهج عربي جديد_ (ط:1, لا: م_ مكتبة النافذة _ 2005م).
16. داعماد علي عبد السميع حسين, الإسلام واليهودية دراسة مقارنة من خلال سفر اللاويين (ط: 1, بيروت, لبنان_ دار الكتب العلمية_ 1425هـ_2004م).
17. الراغب الأصفهاني, مفردات في غريب القرآن, (لا:ط, لا:م _ مكتبة نزار مصطفى الباز, د: ت).
18. رشيد البدراوي, موسى وهارون _ عليهما السلام _ من هو فرعون (لا: ط, القاهرة مصر- 1998م).
19. زاهية الدجاني, المفهوم القرآني والتوراتي عن موسى عليه السلام (ط:1, بيروت, لبنان – دار التقريب _ 1418هـ_1998م).
20. سعدون محمود الساموك, مقارنة الأديان (ط: 1, عمان الأردن _ دار وائل _ 2004م).
21. سليمان بن قاسم العيد, دعوة موسى عليه السلام لفرعون في القرآن الكريم والتوراة المحرفة"دراسة مقارنة", جامعة الملك سعود, كلية التربية.
22. سيد قطب, في ظلال القرآن (ط: 15, القاهرة – دار الشروق – 1408هـ – 1988م).
23. صلاح عبد الفتاح الخالدي, الأعلام الأعجمية في القرآن (لا: ط, دمشق _ دار القلم _ د:ت).
24. صلاح عبد الفتاح الخالدي, الشخصية اليهودي من خلال القرآن تاريخ وسمات ومصير (ط:1, الجزائر – دار الشهاب – 1407هـ-1987م).
25. عاطف عزت, فرعون موسى (لا:ط, مصر, مدينة العاشر بن رمضان _نفر تاي للدراسات والنشر – يناير 2010م).

26. عبد الله عمر رشيد, موسى وهارون عليهما السلام في الأسفار الخمسة (عرض ونقد في ضوء القرآن الكريم) رسالة ماجيستير في العقيدة, غير منشورة, جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين, مكة المكرمة _ المملكة العربية السعودية , 1426هـ _ 1427هـ.
27. عبد الهادي بن سعد السمراتي, الدروس المستفادة من العقوبات الإلهية في القرآن الكريم قبل الرسالة المحمدية (ط:1, السعودية _ دار ابن الجوزي _ 1427هـ).
28. عبد الوهاب عبد السلام طويلة, الكتب المقدسة في ميزان التوثيق (ط: 1, لا:م _ دار السلام_ 1410هـ-1990م).
29. عبد الوهاب محمد المسيري, موسوعة اليهود واليهودية (لا: ط, القاهرة _ 1999م).
30. فارس, معجم مقاييس اللغة, تحقيق عبد السلام محمد هارون, ج5 (لا: ط, لا: م _ دار الفكر _ 1399هـ _1979م) ص 359.
31. الفداء إسماعيل بن كثير, تفسير القرآن العظيم (لا:ط, بيروت لبنان – دار الأندلس _ د: ت).
32الفكر 1411هـ- 1991م.
33قاسم توفيق قاسم خضر, شخصية فرعون في القرآن, رسالة ماجيستير غير منشورة, جامعة النجاح الوطنية, نابلس, فلسطين, 1423هـ_ 2003م).
34. محمد البيومي مهران, بنو إسرائيل الحضارة والتوراة والتلمود, ج3 (لا: ط, الإسكندرية _ دار المعرفة الجامعية _ 1999م).
35. محمد القرطبي, الجامع لأحكام القرآن (ط: 2, القاهرة – المكتبة الأزهرية – د:ت).
36. محمد بن جرير الطبري, جامع البيان في تفسير القرآن (لا:ط, بيروت, لبنان_ دار الفكر, 1398هـ _ 1978م).

37. محمد بن محمد أبو شهبة, المدخل إلى القرآن الكريم (ط:1, القاهرة _ مكتبة السنة _ 1412هـ _ 1992م).
38. محمد بيومي مهران, دراسات تاريخية من القرآن الكريم, ط2, مصر دار النهضة العربية, 1408هـ- 1988م.
39. محمد رشيد رضا, تفسير المنار, مج9 (ط:2, بيروت, لبنان _ دار المعرفة _ د: ت) ص95_96.
40. محمد ضياء الرحمن الأعظمى,دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند, ط2 مملكة العربية السعودية, الرياض مكتبة الرشد 1424هـ-2003م.
41. محمد عبد الله الشرقاوي في مقارنة الأديان بحوث و الدراسات, ط2, جامعة القاهرة, دار الجيل, بيروت, 1410هـ-1990م.
42.محمد عبد الله المهدي البدري, القرآن الكريم تاريخه, علومه (ط: 1, دبي _ دار القلم _ 1404هـ _1984م).
42 محمد عبد الله دراز, النبأ العظيم (ط:7, الكويت _ دار القلم _ 1413هـ _ 1993).
43 محمد عزة دروزة, تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم (لا: ط, صيدا, بيروت, لبنان _ منشورات المكتبة العصرية _ 1389هـ _ 1969م).
44 محمد علي البار, مدخل لدراسة التوراة والعهد القديم, ط1, دار القلم, دمشق, دار الشامية بيروت, 1410هـ-1990م.
45 محمد علي التهانوي, موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم, تـ: علي دحروج (ط:1, بيروت لبنان _ مكتبة لبنان ناشرون_ 1996م).
46 مناع خليل القطان, مباحث في علوم القرآن (ط:3, لا:م _ مكتبة المعارف _1421هـ_ 2000م) .
47 موريس بوكاي, التوراة والإنجيل والقرآن والعلم, تـ: نخبة من الدعاة (ط: 2, بيروت, لبنان _ دار الفتوى _ 1398هـ _ 1978م) .

48 نضال عباس, قصة موسى عليه السلام مع فرعون بين القرآن والتوراة (دراسة مقارنة), رسالة ماجيستير, غير منشورة جامعة النجاح الوطنية كلية الدراسات العليا, نابلس _ فلسطين, 2002م).
49 هادي المدخلي, منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله (ط: 1, الشارقة _ دار الفتح _ 1415هـ _ 1994م).
50 وهبة الزحيلي, التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج, ط1, ج20, بيروت- لبنان, دار الفكر 1411هـ- 1991م.

فهرس الموضوعات.

إهداء.....

شكر وتقدير.....

ملخص البحث .....

المقدمة ..... أ

الفصل الأول: ضبط المصطلحات والمفاهيم الأولية

التمهيد:..... 06

المبحث الأول: التعريف بالكتابين المقدسين:..... 07

المطلب الأول: التعريف بالتوراة:..... 07

الفرع الأول:لغة..... 07

الفرع الثاني: اصطلاحا..... 07

المطلب الثاني: التعريف بالقرآن الكريم..... 11

الفرع الأول: لغة..... 11

الفرع الثاني: اصطلاحا..... 12

المبحث الثاني: مفهوم النهاية..... 16

المطلب الأول:لغة..... 16

المطلب الثاني: اصطلاحا..... 16

المبحث الثالث:التعريف بشخصية فرعون..... 18

المطلب الأول: لغة..... 18

المطلب الثاني: اصطلاحا..... 18

المطلب الثالث: التحقيق من شخصية فرعون 19

الفصل الثاني: أسباب النهاية في المصدرين

التمهيد:..... 22

المبحث الأول: أسباب النهاية في التوراة..... 22

المطلب الأول: الاضطهاد الفرعوني للإسرائيليين..... 22

المطلب الثاني: القتل..... 23
المطلب الثالث: رفض فرعون إطلاق شعب بني إسرائيل..... 24
المطلب الرابع: قساوة قلب فرعون ونكثه للعهود..... 25
المبحث الثاني: أسباب النهاية في القرآن الكريم..... 27
المطلب الأول: الأسباب الدينية..... 27
أولا: رفض الدعوة الموسوية..... 27
ثانيا: إدعاء فرعون للألوهية والربوبية..... 29
المطلب الثاني: الأسباب الاجتماعية..... 31
أولا: الاضطهاد..... 31
ثانيا: الاستعباد..... 32
ثالثا: نكث العهود..... 32
المبحث الثالث:مقارنة من حيث الأسباب..... 34
المطلب الأول: أوجه التقارب..... 34
المطلب الثاني: أوجه الاختلاف..... 36
الفصل الثالث: أحداث النهاية في المصدرين
المبحث الأول: أحداث النهاية في التوراة 40
المطلب الأول: خروج موسى ببني إسرائيل من مصر..... 40
المطلب الثاني: مطاردة فرعون لبني إسرائيل وغرقه..... 42
المبحث الثاني: أحداث النهاية في القرآن الكريم..... 43
المطلب الأول: خروج موسى ببني إسرائيل من مصر..... 43
المطلب الثاني: مطاردة فرعون لبني إسرائيل..... 44
المطلب الثالث: غرق فرعون وجنده في اليم..... 46
المبحث الثالث: المقارنة بين المصدرين حول النهاية..... 49
المطلب الأول: أوجه التقارب..... 49
المطلب الثاني: أوجه الاختلاف..... 50

الفصل الرابع: أثر نهاية فرعون في المصدرين

التمهيد:..... 53
المبحث الأول: أثر النهاية قي التوراة..... 54
المطلب الأول: التيه..... 55
المطلب الثاني: عبادة العجل..... 58
المبحث الثاني: أثر نهاية فرعون في القرآن الكريم.....59
المطلب الأول: التيه..... 60
المطلب الثاني: عبادة العجل..... 61
المطلب الثالث: بقرة بني إسرائيل..... 63
المبحث الثالث: مقارنة من حيث الأثر..... 67
المطلب الأول: أوجه التقارب..... 67
المطلب الثاني: أوجه الاختلاف 67

تم بحمد الله